أعلام المسلمين
٦٨

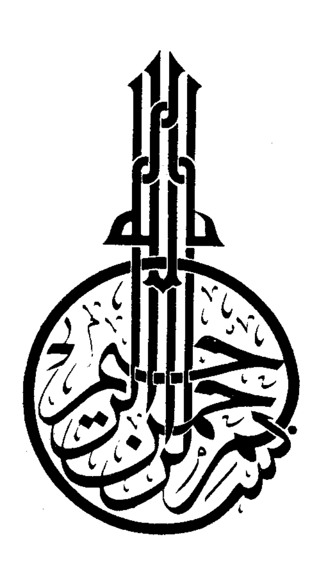


أم عمارة

نسيبة بنت كعب
الصَّحابيَّة المجاهِدَة

تأليف
أمينة عمر الخرّاط

دار القلم
دمشق


بسم الله الرحمن الرحيم

أم عمارة

نسيبة بنت كعب

الصَّحابيَّة المجاهِدَة

الطّبْعة الأولى
١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

تُطلب جميع كتبنا من :
دَار القلم - دمشق : ص.ب : ٤٥٢٣ - ت : ٢٢٢٩١٧٧
الدّار الشاميّة - بيروت - ت : ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦
ص.ب : ٦٥٠١ / ١١٣

توزّع جميع كتبنا في السّعوديّة عن طريق
دَار البَشير - جدّة : ٢١٤٦١ - ص.ب : ٢٨٩٥
ت : ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

الإهداء

إلى ولَديَّ الحبيبين: حذيفة وديمة أقدِّم هذه المعالم المضيئة عن سيرة السيدة أم عمارة؛ لتكون لكما نبراساً وحافزاً على التمسك بسيرة الصحابة رضوان الله عليهم.

أم بلال

هـٰـذه السـيّدة

ـ ما التفتُّ يميناً ولا شمالاً إلا رأيتها تقاتل دوني .

رسول الله ﷺ

ـ مَنْ يُطيقُ ما تُطيقين يا أم عمارة؟ .

رسول الله ﷺ .

ـ لَمقامُ نَسيبة بنت كعب اليوم خيرٌ من مَقام فلان وفلان .

رسول الله ﷺ .

ـ ما أبالي ما أصابني من الدنيا .

أم عمارة



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام المتقين المبعوث رحمة للعالمين محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه وسلم. وبعد:

فقد دعا الإسلام أتباعه إلى امتثال سنة رسوله ﷺ واقتفاء أثره، وسلوك طريقته، حتى لا يضلُّوا في الدنيا، ولا يَشْقَوْا في الآخرة. قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

ولا يكتمل إيمان المسلم إلا باتِّباع سنة رسوله ﷺ، فهو إمام المسلمين في كل معالم حياتهم، وقدوتهم الأولى في منهج سلوكهم، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ [سورة الأحزاب: ٢١].

والداعية الصادق حريص على أن يكون مُتَّبِعاً لسنة الرسول ﷺ ومنهجه وتوجيهاته. وسيرته ﷺ تُفَصِّل لنا في سيرة نبي كريم شرَّفه الله بالرسالة، فهي سيرة شاملة لكل المعالم التي ترقى بالإنسان رقياً عظيماً في المجتمع، مما يجعله القدوة الصالحة في كل زمان ومكان، يحرص عليها كل داعية، ذكراً أو أنثى، وكل أبٍ وزوجٍ ومُرَبٍّ.

ومن واجب الداعية اليوم أن يتخلَّقَ بأخلاقه ﷺ حتى يرى الناس فيه دعوة صادقة حقيقية إلى الإسلام، وما أحوجَنا اليوم إلى السير وفق منهج هذه السيرة الطاهرة والتأسي بصاحبها.

وصحابة رسول ﷺ خير هذه الأمة، فقد أكرمهم بصحبة نبيه ﷺ. واستَقَوْا هذا الدين من قوله وفعله، وتربَّوا على يديه الكريمتين، وكانوا خير جندٍ لخير قائد، فقاموا بهذا الدين خير قيام، فليس عجيباً أن يثني الله عليهم، ويصفهم بالإيمان ويمنحهم المغفرة والرزق الكريم ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [سورة الأنفال: ٧٤].

لقد صدق الصحابة في إيمانهم، وتركوا الأهل والأوطان، وهاجروا إلى الله ورسوله، فأثابهم الله على ذلك جناتٍ عرضها السموات والأرض.

وقد امتدح الله تعالى صحابة رسوله ﷺ من الأنصار الذين آوَوْا المهاجرين، وآثروهم على أنفسهم، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الحشر: ٩].

وقد بيَّن رسولُ الله ﷺ في أحاديثه الكريمة المَنْزِلَةَ العالية التي تبوأها أصحابه، فقال: «خير أمتي قرني، ثمّ الذين يَلُونهم، ثمّ الذين يلونهم»[١]. وقال ﷺ: «لا تَسُبُّوا أصحابي؛ فوالذي نفسي بيده لو أنَّ أحدَكم أنفقَ مثلَ أُحُدٍ ذهباً ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»[٢].

إنّ منزلةَ صحابة رسول الله ﷺ منزلةٌ عالية، وقَدْرُهم رفيع، ومن هنا ذهب بعضُ الأئمة إلى تكفير مَنْ سَبَّهم رضي الله عنهم، أو انتقصهم، أو طَعَنَ في عدالتهم، أو جاهرَ ببغضهم[٣].

وقد بيَّن رسولُ الله ﷺ فَضْلَ صحابته من الأنصار بقوله: «لو أنَّ الأنصار سلكوا وادياً أو شِعباً، لسلكت وادي الأنصار،

---

(١) رواه البخاري، انظر: ٦٢ كتاب فضائل الصحابة؛ فتح الباري: ٧/ ٥.
(٢) رواه البخاري، انظر: ٦٢ كتاب فضائل الصحابة؛ فتح الباري: ٧/ ٢٥.
(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص ٤١٨.

ولـولا الهجـرةُ لكنـتُ أمـرأً مـن الأنصـار»[1]. وقـد جعـلَ رسولُ الله ﷺ حبَّ الأنصار دليلاً على إيمانِ المرء، وبغضَهم علامةً على نفاقه. عن البراء رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «الأنصارُ لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فَمْن أحبَّهم أحبَّه الله، ومَنْ أبغضهم أبغضه الله»[2].

وبما أنَّ الصحابة رضوان الله عليهم عايشوا رسول الله ﷺ، وسـاروا على هديـه، واسـتنُّوا بسـنته، وجب علينـا أن نعمـل بعملهم، ونحرص على هديهم، فهم الذين عاصروا فترة الوحي والتنزيل، وهم الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ونصرته. وليس عجيباً أن يوصي رسول الله ﷺ بالحرص على سنّتهم حيث قال: «عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين من بعدي، عَضُّوا عليها بالنّواجذ»[3].

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «مَنْ كان مستنّاً، فليَسْتَنّ بمَنْ قد مات، أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا على خير هذه الأمـة، أبرها قلوبـاً، وأعمقهـا علماً، وأقلها تكلُّفاً، قـومٌ

---

(١) رواه البخاري. انظر: ٦٣ كتاب مناقب الأنصار؛ الفتح: ٧/ ١٣٩.
(٢) رواه البخاري، انظر: ٦٣ كتاب مناقب الأنصار؛ الفتح: ٧/ ١٤١.
(٣) رواه أحمد في المسند: ٤/ ١٢٦.

اختـارهم الله لصحبـة نبيـه ﷺ ونقل دِيْنه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم»[1].

وما بلغ الصحبُ الكرام تلكَ المنزلة الرفيعة إلا بالإيمان الذي وَقَرَ في قلوبهم، وصدَّقته أعمالُهم بطاعتهم لله ورسوله، وتضحيتهم الجمَّة في سبيل هذا الدين، وبهذا كان لهم الأثر العظيم في نشر دين الله، وتبليغه للنّاس. قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [سورة الأحزاب: ٢٣].

لقد بلغت حياة الصحابة رضوان الله عليهم شَأْواً بعيداً في البذل والعطاء والسعي الحثيث الجاد لخدمة الدعوة الإسلامية وقائدها. والأجيال المسلمة من بعدهم إلى قيام الساعة مَدْعُوَّة لتنهج نهجهم، وتتابع سيرتهم، وينبغي أن تكون قراءة أخبارهم قراءة القدوة الأسوة، ليكونوا الجيل الحيَّ في قلوبنا وطريقنا؛ لأنهم الجيل القرآني الفريد.

وكثير من المسلمين اليوم ـ رجالاً أو نساءً ـ ينشِئ حاجزاً نفسياً بينه وبينهم في واقع حياته، فلا يستقي منهم، بل يعدُّ سيرتهم معالم تاريخية دارسة قد انقضت، فيتجاهل هذه السيرة.

---

(١) حلية الأولياء: ١/ ٣٠٥.

إنَّ هؤلاء يخسرون خيراً كثيراً، وكنزاً وفيراً، لأنّهم لم يجعلوا حياتهم امتداداً لتلك الحياة السالفة العظيمة.

والسيرة الكريمة مفعمة بنماذج مضيئة من نساء الصحابة تعطي المثل العظيم، والبرهان الساطع للّواتي عرفن واجبهن خير المعرفة، فبذَلْن وضَحَّيْنَ بالكثير في سبيل الدعوة. وأخواتنا المسلمات اليوم مدعوات إلى الاطلاع على سيرتهنَّ للاقتداء بهن، ومتابعة طريقهن.

والسيدة المجاهدة ـ أم عمارة ـ إحدى الصحابيات المتميزات اللواتي انتسبن إلى مدرسة النبوة، وتخرَّجْن في رحابها. لقد كانت رضي الله عنها من السابقات إلى الإسلام؛ إذ أسلمت قديماً، وبايعت رسول الله ﷺ، وعاهدت الله على السير قُدماً في طريق الدعوة، وصدقت الوعد والعهد، لم تبال بجراحها التي أصابتها في سبيل إعلاء كلمة الله، ولم تُعَرِّج على دمائها الفياضة، ولم تبال بما خسرته من أعضائها، بل سارت قُدماً تدافع عن دعوة الحق حتى أظهرها الله تعالى.

لقد أعطت النساء درساً جليلاً في الأمومة الحقَّة وما ينبغي أن تكون عليه مدرسة الأم التربوية تجاه أولادها، وعكفت على أبنائها تلقِّنهم مفاهيم الإسلام، وتغرس فيهم حبَّ الجهاد، وتدفع بهم إلى ساحات الوغى والاستشهاد، فكان ما كان مِنْ قَتْل

مسيلمة الكذاب لابنها حبيب رضي الله عنه.

وتتقدم السن بأم عمارة، وتعلوها الشيخوخة، وما عليكِ أيتها المجاهدة المناضلة إلا أن تنشدي الراحة بعد هذه الرحلة الشاقة، ولكن امرأة مثلها وهبت نفسها لله لا تفكر في ذلك، طالما يَنْشَط مُدَّعي النبوة ـ مسيلمة الكذاب ـ فحضرت معركة اليمامة، وفقدت يدها الغالية، ولكنها رأت بأم عينها نهاية الحاقدين على الإسلام والمسلمين.

ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة العلمية الموثَّقة التي ترصد حياة هذه الصحابية الجليلة، ليكون لنا منها نحن معشر النساء نورٌ نقتبس منه شعاعاً يضيء لنا درب الحياة، وسوف يسعى هذا البحث إن شاء الله مع الدِّرَاسَتَيْن السابقتين عن: «أم سلمة ـ العاقلة العالمة أم المؤمنين» و«أم سُلَيْم بنت ملحان ـ داعية وهبت نفسها للدعوة» في بيان هذا الجيل من الصحابيات رضي الله عنهن، لتُسْهِم سيرتهن العطرة في بيان دورهنَّ، وما قدَّمْنَه من أجل الدعوة، وعسى أن ننهض نحن للمتابعة والاقتداء.

وقد جاءت دراستي هذه في ستة فصول:

تحدثت في الفصل الأول عن اسمها وكنيتها ونسبها وقبيلتها.

وفي الفصل الثاني تحدثت عن أسرتها التي تضمنت والديها وإخوتها، وزوجها، وأولادها.

وتحدثت في الفصل الثالث عن إسلامها، ومبايعتها لرسول الله ﷺ، ومشاركتها لأحداث الدعوة.

وخصصت الفصل الرابع لجهادها الذي تميَّزت به.

أما الفصل الخامس فقد كان الحديث فيه عن عناية رسول الله ﷺ والصحابة بها.

ويأتي أخيراً الفصل السادس في وفاتها.

ثم ذكرتُ بعض الأحاديث التي روتها.

ويسعدني أن أتقدم إلى زوجي الفاضل أبي بلال بأسمى معاني الشكر والتقدير على ما أعطاني من وقته، فقد كان لي عوناً على إعداد هذا البحث، وتزويده بالمراجع العلمية اللازمة، نسأله تعالى القبول والسداد، وأن يحشرنا في زمرة أم سلمة وأم سُليم وأم عمارةَ رضي الله عنهن، تحت لواء سيد المرسلين ﷺ، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وأن يرزقنا العلم النافع الذي يُنتفع به. والحمد لله رب العالمين.

أم بلال

١٠/ ١١/ ١٤١٦هـ

مخطط البحث

ـ الفصل الأول: اسمها ونسبها وكنيتها وقبيلتها.

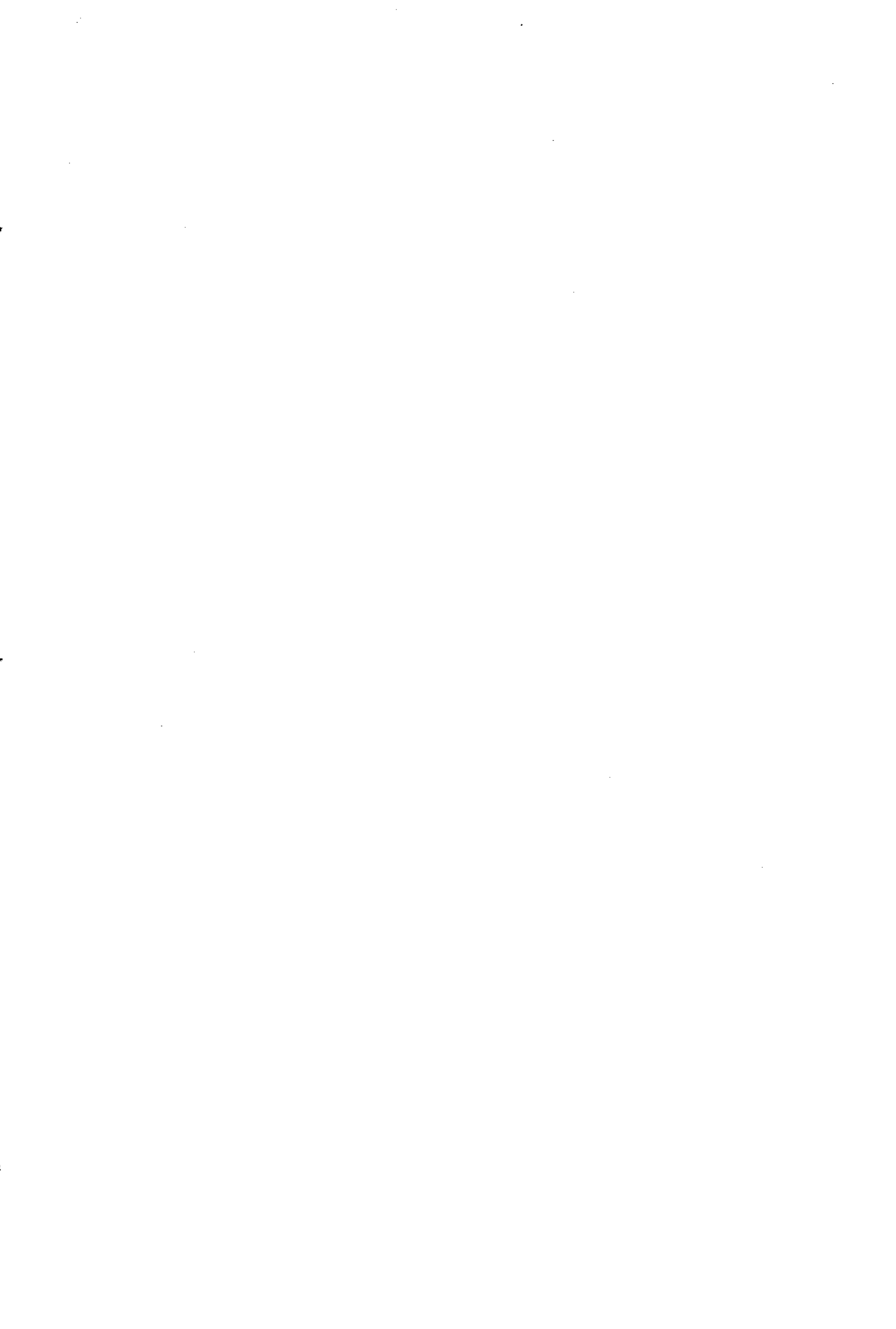
ـ الفصل الثاني: أسرتها.

ـ الفصل الثالث: إسلامها ومبايعتها لرسول الله ﷺ ومشاركتها لأحداث الدعوة.

ـ الفصل الرابع: جهادها.

ـ الفصل الخامس: منزلتها وعناية الصحابة بها.

ـ الفصل السادس: وفاتها رضي الله عنها.



الفصل الأول

اسمها ونسبها وكنيتها وقبيلتها



اسمها ونسبها وكنيتها وقبيلتها

هي نَسيبة[1] بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار؛ الخزرجية المازنية المدنيّة الصحابية المشهورة.

وقد ضبط المؤرخون والمصنفون نون اسمها «نَسِيبة» بالفتح، وضبطوا سينها بالكسر[2]؛ أما الذهبي في «الكاشف»[3]

---

(١) انظر في ترجمتها: الطبقات الكبرى ٨/ ٤١٢؛ الإصابة: ٤/ ٤٧٩؛ أسد الغابة: ٥/ ٦٠٥؛ سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢٧٨؛ تهذيب الكمال: ٣٥/ ٣٧٢؛ تقريب التهذيب، ص٧٥٧؛ تهذيب التهذيب: ٢/ ٤٧٤؛ السيرة الحلبية: ٣/ ٦١؛ المغازي: ٢/ ٧٣٧،؛ نساء مؤمنات، ص ٥٠؛ أعلام النساء: ٥/ ١٧٥، مئة أوائل من النساء، ص ١٨٦؛ الأعلام: ٨/ ١٩.

(٢) الإكمال: ٦/ ٢٧١، تبصير المنتبه: ٤/ ١٤١٥؛ تهذيب التهذيب: ٢/ ٤٧٤؛ صفة الصفوة: ٢/ ٣٤.

(٣) الكاشف: ٢/ ٥١٨.

فقد ضبط النون بالضم «نُسيبة» والفتح «نَسيبة» ولا أرى لجواز الوجهين وجهاً؛ وذلك لأنَّ جمهور المصنفين والمؤرخين ضبطوا اسمها بفتح النون وكسر السين. وقد شذَّ عن ذلك صاحب «السيرة الحلبية» حيث لم يذكر غير وجه ضم النون وفتح السين بالتصغير «نُسَيبة»، وقال: إن هذا هو المشهور[1]. ولا أظن ذلك.

ويخلط بعض المؤرخين[2] بين أم عمارة نَسيبة هذه، وبين صحابية أخرى هي أم عطية الأنصارية رضي الله عنها[3]، وجاء هذا الخلط لأنَّ أم عطية اسمها نُسيبة ـ بضم النون ـ بنت الحارث. ويمكن حسم الالتباس بأن نَسِيبة بنت كعب ـ أم عمارة ـ بفتح النون وكسر السين، ونُسَيبة بنت الحارث ـ أم عطية ـ بضم النون وفتح السين.

كما ضبطوا عين أم عُمارة بالضم وميمها بالتخفيف[4].

---

(١) السيرة الحلبية: ٢/ ٢٣٠.

(٢) الإصابة: ٤/ ٤٧٦؛ الثقات: ٣/ ٤٢٣.

(٣) أم عطية الأنصارية هي: نُسيبة بنت الحارث من فقيهات الصحابيات، روت كثيراً من الأحاديث، عاشت إلى سنة ٧٠ هـ؛ انظر سير أعلام النبلاء: ٢/ ٣١٨.

(٤) الإكمال: ٦/ ٢٧١، عون المعبود شرح سنن أبي داود: ١/ ١١٦.

ولا نقف على سبب لهذه الكنية، فلم يذكر لها المؤرخون ولداً بهذا الاسم، ونرجِّح أن تكون هذه الكنية على عادة العرب آنذاك في إثبات كنية لأولادهم وبناتهم منذ صغرهم.

وأم عُمارة أنصارية خزرجية من بني النجار، فهي تنتمي إلى هذه القبيلة التي كانت تسكن المدينة المنورة إلى جانب قبيلة الأوس. جاء في «لسان العرب»[1] أن الأوس والخزرج ابنا قَيْلة، وهي أمهما نُسبا إليها، وهما ابنا حارثة بن ثعلبة من اليمن، وأما من حيث اللغة، فالخزرج لغةً[2]: ريح الجنوب، وبهذه الريح سُمِّيت هذه القبيلة.

وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل بني النجار التي نُسبت أم عمارة إليها، فقد روى البخاري عن أبي حُميد عن النبي ﷺ قال: «إنّ خير دور الأنصار دار بني النجار، ثم عبد الأشهل، ثم دار بني الحارث، ثم بني ساعدة، وفي كل دور الأنصار خير»[3].

---

(١) مادة (خزرج).
(٢) اللسان: خزرج؛ الأنساب للسمعاني: ٥/ ١٠٩.
(٣) صحيح البخاري ٦٣ كتاب مناقب الأنصار؛ فتح الباري: ٧/ ١٤٤.

قال ابن حجر[1]:

«وبنو النجّار هم أخوال جدّ رسول الله ﷺ، لأنّ والدة عبد المطلب منهم، وعليهم نزلَ ﷺ لمَّا قَدِم المدينة، فلهم مزيَّة على غيرهم».

ومن هنا نخرج إلى أن نَسيبة بنت كعب ـ أم عمارة ـ المدنية: خزرجية، من فخذ بني النجار الذين شهد الرسول ﷺ لهم بالخير، فحازت بذلك الشرف والرفعة.

* * *

(١) فتح الباري: ٧/ ١٤٥.

الفصل الثاني

أسرتها



أسرتها

ذكر أصحاب التراجم والمؤرخون طائفة من أفراد أسرتها :

أما **أبوها**: فهو كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار[١]، وليس هناك إشارة عن حياة أبيها في كتب التراجم، وهل مات في الجاهلية أو في الإسلام؟ .

وأما **أمُّها**: فهي الرباب بنت عبد الله بن حبيب بن زيد بن ثعلبة بن زيد مناة بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جُشم بن الخزرج[٢]، وليس هناك إشارة عن حياة أمها في كتب التراجم، وهل ماتت في الجاهلية أو أدركت الإسلام؟ وقد يرجح إسلامها ما ذكره بعض المصنفين: أنّ أمها اشتركت في معركة أحد، وأنّها كانت تضمد جراح ابنتها أم عمارة[٣].

* * *

---

(١) سير أعلام النبلاء : ٢/ ٢٧٨ .
(٢) الطبقات الكبرى: ٣/ ٥١٨، ٨/ ٤١٢ .
(٣) صفة الصفوة: ٢/ ٣٤، الأعلام: ٨/ ١٩ .

وأما **إخوتها**: فأَوَّلُهم عبد الله بن كعب المازني، وقد كان أخاها الشقيق لأمها وأبيها[1]، وهو: عبد الله بن كعب بن عمرو ابن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار[2]، يكنى أبا الحارث[3]، وأمه الرباب.

شهد عبد الله بن كعب بدراً، وكان في ذلك اليوم عاملاً للنبي ﷺ على الغنائم، وقيل: اختص بخُمس النبي ﷺ يوم بدر[4] وشهد عبد الله غزوة أحد والخندق وبقية المشاهد الحافلة مع رسول الله ﷺ[5]، وكان هذا الصحابي الجليل أخاً لأبي ليلى المازني[6]، توفي في المدينة المنورة سنة ٣٠هـ، وصلى عليه عثمان رضي الله عنه[7]، وفي الطبقات الكبرى أنه قتل يوم

---

(١) الطبقات الكبرى: ٨/ ٤١٢.

(٢) كتاب الثقات: ٣/ ٢٧٧.

(٣) اختلفوا في كنيته بين أبي الحارث وأبي يحيى؛ انظر: أسد الغابة ٣/ ٢٤٨؛ الطبقات الكبرى: ٣/ ٥١٨.

(٤) كتاب الثقات: ٣/ ٢٢٧.

(٥) الطبقات الكبرى: ٣/ ٥١٨.

(٦) الاستيعاب: ٢/ ٣١٤.

(٧) المرجع السابق نفسه.

الحرة[1]، وكان لعبد الله بن كعب من الولد: الحارث، وأم الحارث زغيبة بنت أوس[2].

وأما أخوها الثاني فهو: عبد الرحمن بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غُنم بن مازن بن النجار، أبو ليلى المازني الأنصاري الصحابي[3]. وكان عبد الرحمن هذا أخاً لأم عمارة شقيقاً[4]، وقد وصف أصحابُ التراجم عبد الرحمن بأنّه أحد البكائين الذين لم يقدروا على المسير إلى غزوة تبوك لقلة الزاد والراحلة، حينما عزم رسول الله ﷺ على لقاء الروم في الغزوة المشهورة، فنزل فيه وفي أصحابه قوله تعالى: ﴿ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾[5][سورة التوبة: ٩٢].

---

(١) الطبقات الكبرى: ٣/ ٥١٨.
(٢) كتاب الثقات: ٣/ ٢٥١.
(٣) الطبقات الكبرى: ٣/ ٥١٨.
(٤) الطبقات الكبرى: ٨/ ٤١٢.
(٥) انظر: سير أعلاء النبلاء: ٢/ ٢٧٨؛ أسد الغابة: ٣/ ٣٢٠؛ عيون الأثر: ٢/ ٢٧٦.

وكان النبي ﷺ قد استعمل عبد الرحمن هذا وعبد الله بن سلام على قطع نخيل بني النضير[1]، حيث أمر رسول الله ﷺ بقطع النخل وحَرْقها بعد أن حاصرهم ست ليالٍ. وذكر أصحاب السيرة أنّ أبا ليلى هذا كان يقطع العجوة، وكان صاحبه عبد الله يقطع ما عداها[2].

شهد عبد الرحمن أُحداً والخندق والمشاهد الحافلة بعدها. وتوفي في آخر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما[3].

* * *

أمّا أزواجها: فأوّلهم: زيد بن عاصم بن كعب بن منذر بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غُنم بن مازن بن النجار الأنصاري[4]. كان ممَّنْ شهد العقبة وبدراً ثم أحداً[5]، كنيته أبو الحسن[6]؛ تزوج زيد أم عمارة قبل الإسلام، فولدت له حبيباً

---

(١) الإصابة: ٢/ ٤٢٠.
(٢) السيرة الحلبية: ٢/ ٢٦٥.
(٣) الإصابة: ٢/ ٤٢٠.
(٤) الطبقات الكبرى: ٨/ ٤١٢؛ الاستيعاب ١/ ٥٥٥.
(٥) الاستيعاب: ١/ ٥٥٥.
(٦) الإصابة: ١/ ٥٦٨.

وعبد الله صاحبي رسول الله ﷺ. وذكر صاحب «الاستيعاب»[1] أنّ زيداً قُتل مع أم عمارة وابنيه حبيب وعبد الله. والواقع أنّ كتب التراجم لم تذكر شيئاً عن وفاته أو مقتله. أما وفاة أم عمارة وولديها فسوف نمرُّ بها تفصيلاً إن شاء الله. ومن هنا نستبعد ما قاله صاحب «الاستيعاب».

أما زوجها الثاني فهو: غزية بن عمرو بن عطية بن خنساء بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار، الأنصاري الخزرجي المازني[2]. وقد تزوج غزية أم عمارة بعد زوجها الأول ـ زيد بن عاصم ـ وقد شهد أحداً مع رسول الله ﷺ، كما شهد العقبة، فكانت أم عمارة تقول: اصطف الرجال على يمين رسول الله ﷺ ليلة العقبة، والعباس آخذٌ بيد رسول الله ﷺ، ينادي زوجي ـ غزية بن عمرو ـ: يا رسول الله هاتان امرأتان حضرتا تبايعانك، فقال رسول الله ﷺ: إنّي لا أصافح النساء[3].

وغزية هو أخو سراقة بن عمرو، ووالد ضمرة بن غزية[4].

---

(١) الاستيعاب: ١/ ٥٥٥.
(٢) الطبقات الكبرى: ٨/ ٤١٢.
(٣) الاستيعاب: ٣/ ١٨٤؛ الإصابة: ٣/ ١٨٦.
(٤) أسد الغابة: ٤/ ١٧٠.

ونمرُّ هنا بالتباس وقع فيه صاحب «الأعلام»[1]، حيث قال: إنّ زوجها زيد بن عاصم المازني ماتَ عنها، وتزوجها غزية بن عمرو المازني بعده، وذلك لأنَّ ابن سعد في «الطبقات»[2] أشار إلى أنَّ أم عمارة تزوَّجت زيد بن عاصم بن كعب، وولدت له ابنيه عبد الله وحبيباً، كما أشار إلى أنَّها تزوجت بعده غزية بن عمرو بن عطية، وولدت له ابنيه تميماً وخولة، وبما أنَّ زيد بن عاصم شهد العقبة وبدراً وأحداً كما جاء في «الاستيعاب»[3]، وغزية بن عمرو ـ زوجها الثاني ـ شهد أيضاً العقبة وأحداً مع رسول الله ﷺ، فمعنى هذا أنَّ زوجها الأول طلَّقها قبل بيعة العقبة التي حضرتها أم عمارة، وتزوجها الثاني ـ غزية بن عمرو ـ قبل بيعة العقبة أيضاً؛ ويؤيد هذا قول أم عمارة في بيعة العقبة: كانت الرجال تُصَفِّق على يمين رسول الله ﷺ، والعباس آخذ بيد رسول الله ﷺ ينادي زوجي ـ غزية بن عمرو ـ . . .[4]؛ فهذا يردُّ ما ذكره الزركلي في «الأعلام».

---

(١) الأعلام: ٨/ ١٩.
(٢) الطبقات: ٨/ ٤١٢.
(٣) الاستيعاب: ١/ ٥٥٥.
(٤) الإصابة: ٣/ ١٨٦.

وذكر صاحب «الطبقات»[1] أنّها تزوجت ثلاثة كلهم لهم منها ولد: غزية بن عمرو المازني لها منه: تميم بن غزية. وتزوجت زيد بن عاصم بن كعب المازني ولها منه: حبيب الذي قطَّعه مسيلمة، وعبد الله بن زيد قُتل بالحرة، والثالث نسيبة ومات ولده ولم يعقب. ولم يشر إلى (نسيبة) هذا الثالث غير صاحب «الطبقات» ولعله وهم.

* * *

أما أولادها فهم:

١ - عبد الله بن زيد بن عاصم المازني، من فضلاء الصحابة، يُعرف بابن أم عمارة، ويُكنى أبا محمد[2]، من بني مازن بن النجار، ونقل الذهبي عن ابن مندة أنّه شهد بدراً[3]، وقال ابن عبد البر: بل هو أُحُدي ولم يشهد بدراً[4].

وهو الذي قتل مسيلمة الكذاب بسيفه يوم اليمامة مع

---

(١) الطبقات الكبرى: ٨/ ٤١٦.
(٢) سير أعلام النبلاء: ٢/ ٣٧٨.
(٣) سير أعلام النبلاء: ٢/ ٣٧٨؛ وذهب إلى هذا أيضاً صاحب عيون الأثر: ١/ ٣٣٤.
(٤) سير أعلام النبلاء: ٢/ ٣٧٨.

رميــة وحشــي له بحربته[1]، ويصف وحشي الموقف بقوله: فلما خرج المسلمون إلى مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة خرجتُ معهم، وأخذتُ حربتي التي قتلت بها حمزة رضي الله عنه؛ فلما التقى الناس رأيتُ مسيلمة الكذاب قائماً وفي يده السيف، وما أعرفه، فتهيأتُ له، وتهيأ له رجلٌ من الأنصار من الناحية الأخرى، كلانا يريده، فهززت حربتي، حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه، فوقعتُ فيه، وشدَّ عليه الأنصاري فضربه بالسيف، فربك أعلم أيُّنا قتله[2].

وكان مسيلمة قد قتل أخاه ـ حبيب بن زيد ـ وقطَّعه عضواً عضواً، فأراد عبد الله أن يأخذ بثأر أخيه، فقدَّر الله له ذلك[3].

وقـد حكـى عبـد الله بـن زيـد رضـي الله عنـه وضـوء رسول الله ﷺ؛ عن عمرو بن يحيى المازني عن أبيه: أنّ رجلاً قال لعبد الله بن زيد ـ وهو جدُّ عمرو بن يحيى المازني ـ: أتستطيع أن تريني كيف كان رسول الله ﷺ يتوضأ؟. فقال عبد الله بن زيد:

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٢/ ٣٧٨.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ٧٢.
(٣) أسد الغابة: ٣/ ١٦٧؛ الثقات: ٣/ ٢٢٤؛ سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢٨١.

نعم. فدعا بماء فأفرغ على يديه، فغسل مرتين ثم مضمض واستنثر ثلاثاً، ثم غسل وجهه ثلاثاً، ثم غسل يديه مرتين مرتين إلى المرفقين، ثم مسح رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر، بدأ بمقدم رأسه حتى ذهب بهما إلى قفاه ثم ردَّهما إلى المكان الذي بدأ منه، ثم غسل رجليه[1]. ثم قال: هكذا رأيت النّبي ﷺ يتوضأ[2].

قُتل رضي الله عنه يوم الحرة، حيث اندلعت نار الفتنة، واستبيحت المدينة المنورة من قِبَل جيش الشام بقيادة مسلم بن عقبة.

تربَّى عبد الله في بيت والدته أم عمارة، وكان يجاهد في جميع المواقف، وينشد الشهادة في سبيل الله، ثم مرّت بالمسلمين سنون عجاف، واستلم الخلافة بنو أمية، وولي على المسلمين يزيد بن معاوية، فلم يقبل أهل المدينة ببيعته، ورفضوا طاعته، فبعث إليهم يزيد بقائده مسلم بن عقبة، والتحم الفريقان وفي مقدمة أهل المدينة عبد الله بن زيد، وشاء الله أن ينتصر جيش يزيد فعاثت خيولهُ في الأرض فساداً.

---

(١) فتح الباري: ١/ ٣٤٧ كتاب الوضوء، باب مسح الرأس كله.
(٢) فتح الباري: ١/ ٣٦٣كتاب الوضوء، باب الوضوء من التَّوْر.

فقال عبد الله: والله لا أقبل لهم أماناً، ولا أبرح حتى أُقتل، لا أفلح مَنْ ندم. وأقبل رجل من أهل الشام يقول لعبد الله: والله لا أبرح حتى أقتلك، فقال له عبد الله: شرٌّ لك خيرٌ لي؛ وضربه بفأس في يده.

وكان عبد الله صائماً، ومرّ مسلم بن عقبة بين الجرحى فأجهز عليهم، حتى إذا وصل إلى عبد الله أمر به فحُزّت رأسه، وكان ذلك في آخر ذي الحجة سنة ٦٣ هـ. وسمّيت هذه الوقعة، وقعة الحرة[١].

* * *

وأما ولدها الثاني فهو: حبيب بن زيد بن عاصم الأنصاري المازني، شهد العقبة وأحداً والخندق والمشاهد الحافلة مع رسول الله ﷺ[٢].

وقد بعث رسول الله ﷺ حبيب بن زيد إلى مسيلمة الكذاب باليمامة[٣]، وكان معه في مؤخرة الجيش عبد الله بن وهب

---

(١) كتاب الثقات: ٣/ ٢٢٥؛ شهداء الإسلام، ص ٤٦.

(٢) الإصابة: ١/ ٣٠٦.

(٣) انظر الاستيعاب: ١/ ٣٢٨؛ فتوح البلدان، ص ١٠٢.

الأسلمي، فأصابهما مسيلمة، فقال لهما: أتشهدا أني رسول الله؟.
فقال له الأسلمي: نعم. فأمر به فحُبس في حديد، وقال لحبيب: أتشهد أنّي رسول الله؟ فقال حبيب: لا أسمع، فقال: أتشهد أنّ محمداً رسول الله؟ فقال: نعم. فأمر به فُقطِّع، وكلما قال له: أتشهد أنّي رسول الله؟ قال: لا أسمع، فإذا قال له: أتشهد أنّ محمداً رسول الله؟ قال: نعم. حتى قطّعه عضواً عضواً. حتى قطّع يديه من المنكبين، ورجليه من الوركين، ثم حرّقه بالنّار، وهو في كل ذلك لا ينزع عن قوله، ولا يرجع عمّا بدأ به، حتى مات في النّار رحمه الله[1].

وهكذا نجد حبيباً يموت عضواً عضواً، وكان يبدي الصبر على قضاء الله، فلا يذكر سوى الصلاة على رسول الله ﷺ، وكان حبيب غرساً يانعاً من غراس والدته ـ أم عمارة ـ حيث تعلّم أهمية الجهاد في الإسلام، فنشأ وقد تمثل حبُّ الشهادة في دمه، فملك عليه كل جوارحه إلى أن فاضت روحه رضي الله عنه.

* * *

وأما ولدها الثالث فهو: ضمرة بن غزية بن عمرو، وكنّا قد

---

(١) الخلافة الراشدة والبطولة الخالدة في حروب الردة، ص ١١٧.

ذكرنا في ترجمة أزواجها أنها تزوجت بعد زيد بن عاصم رجلاً آخر هو: غزية بن عمرو، وضمرة هذا أحد أولادها من زوجها الثاني. شهد ضمرة أُحُداً مع أبيه[1].

ويبدو أنَّ السيدة أم عمارة كانت تُغَذّي أولادها بمعاني الجهاد وطلب الشهادة في سبيل الله، وهذا هو ولدها الثالث ينشدُ الشهادة ليلحق بركب أخويه الطاهرين من قبله عبد الله وحبيب، حيث أكرمه الله بالشهادة يوم جسر أبي عبيد، إذ التحم المسلمون مع الفرس في معركة ضارية[2]، وقد فصل بين جيش المسلمين والفرس نهر الفرات، وكان عليه جسر، ثم دارت المعركة، وكان أبو عبيد بن مسعود الثقفي قائد المسلمين أول شهيد فيها، ثم أخذ اللواء المثنى بن حارثة واستمرت المعركة حتى تمَّ العبور، واستشهد من المسلمين أربعة آلاف بين قتيل وغريق، وقتل من الفرس ستة آلاف[3].

* * *

---

(١) الاستيعاب: ٢/ ٢١٢؛ الإصابة: ٢/ ٢١٣.

(٢) أسد الغابة: ٣/ ٤٦.

(٣) انظر: جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، ص ٩٦.

وأما ولدها الرابع فهو: تميم بن غزية بن عمرو، الصحابي، روى حديث رسول الله ﷺ في الوضوء[1]. وتضنّ كتب التراجم بشيء من التفصيل عن هذا الابن البار لأم عمارة.

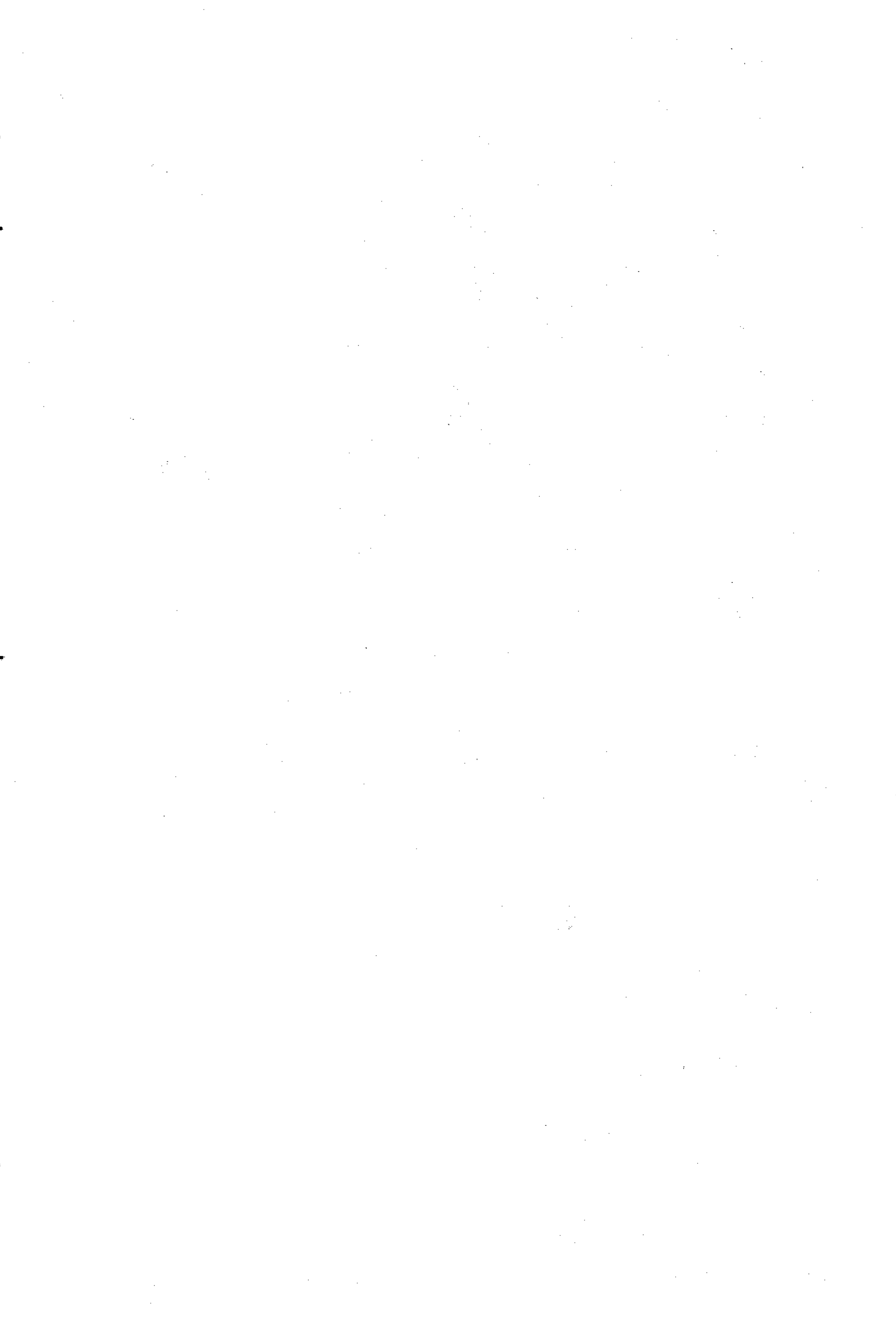
إلا أنّهم يختلفون في والده هل هو ابنها من زوجها الأول - زيد بن عاصم - أو زوجها الثاني - غزية بن عمرو -[2]؟

وأشار ابن سعد في «الطبقات» أنّ لها نسلاً من زوجها غزية، حيث ولدت له تميماً وخولة. وتُمْسِك كتب التراجم عن أي تفصيل في خولة. ولا ندري شيئاً عنه أو عنها[3].

* * *

---

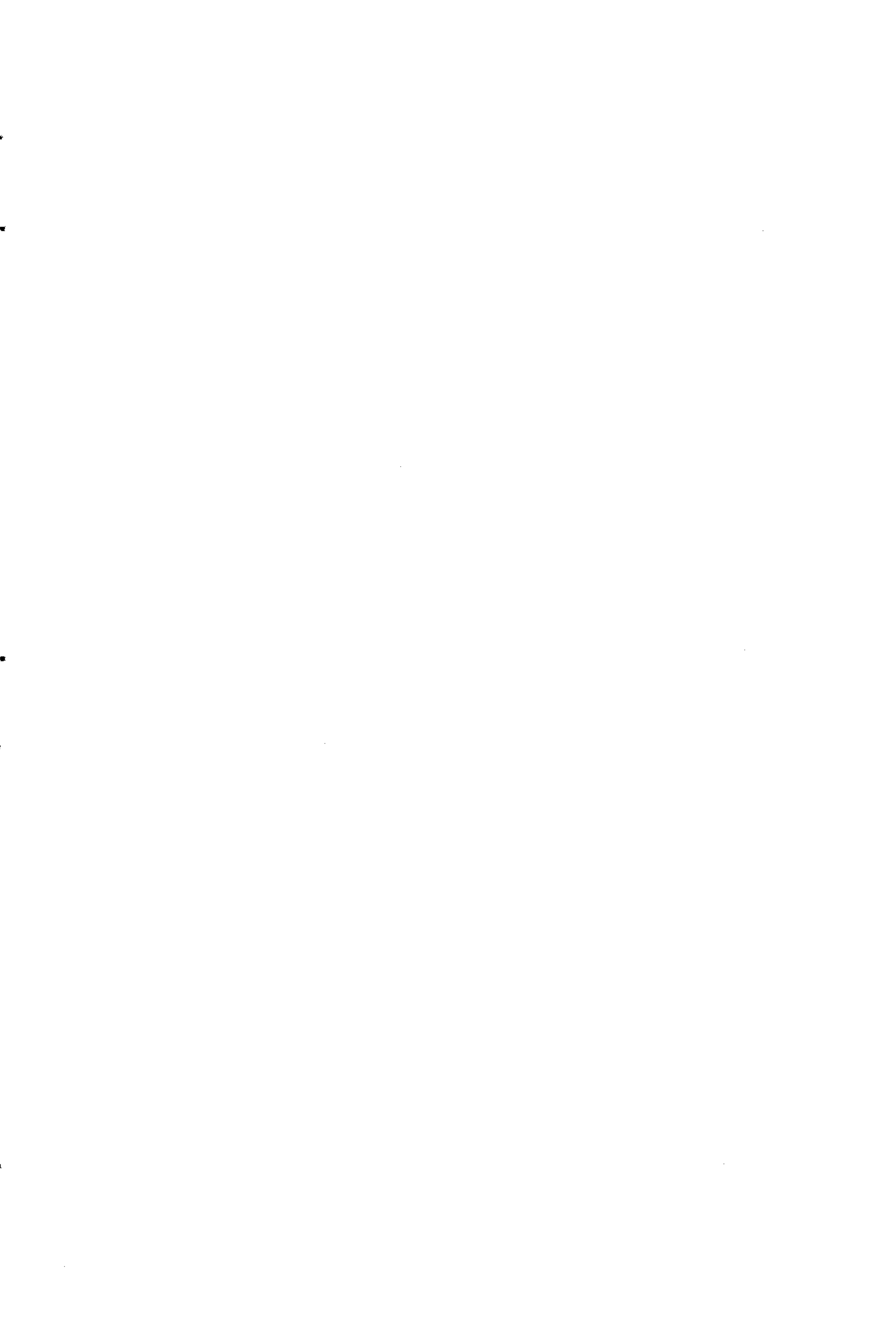
(١) الإصابة: ١/ ١٨٥.
(٢) المرجع السابق نفسه.
(٣) الطبقات: ٨/ ٤١٢.





الفصل الثالث

إسلامها ومبايعتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومشاركتها لأحداث الدعوة



إسلامها ومبايعتها لرسول الله ﷺ ومشاركتها لأحداث الدعوة

أراد الله لهذا الدين أن يظهر في العالمين، فأيَّد لواءه بالنصر، وهيأ له بيئة مناسبة لينمو فيها غرسُه، وأرضاً ملائمة تقوم عليها دولته؛ فامتد نوره في الآفاق، إلى أن وصل بيوت المدينة المنورة، وكانت تُعرف بيثرب، وها هو شعاعه يسري في قلوب قومٍ اختارهم الله لنصرة دينه ونبيِّه، فما لبثوا أن أعلنوا إسلامهم زرافاتٍ ووحدانا، وجهروا بتأييدهم لهذا الدين الحقّ الذي يدعو إلى خير الفرد والمجتمع، ونبذ الشرك وعادات الجاهلية.

وتسمع أم عمارة بهذا الدين الجديد، فتسرع جادَّةً باحثة عن الحق المبين، حتى أشرق نور اليقين في قلبها، وملأ جنباتها الإيمان، فراحت ترقب أخباره وتنهل من توجيهاته وأحكامه،

ولم تلبث إلّا يسيراً حتى أسلمت وبايعت، وكانت ممَّنْ أسلمت قديماً، وبايعت النبي ﷺ[1].

وهكذا دخلت أم عمارة في الإسلام مع السابقين إليه، وبايعت مع المبايعين عن قناعة واعتقاد، ومضَتْ بعدها تَهَبُ طاقتها لخدمة هذا الدين الذي آمنت به كلما تهيأت لها سانحة، فكان شغلها الشاغل وهمها الكبير، وكانت رضي الله عنها ذات استعدادٍ عالٍ لهذه الخدمة، تريد أن تثبت للمرأة المسلمة دورها الفاعل في خدمة الدعوة إلى جانب الرجل الداعية، كما أثبتت أم عمارة أنّ لهذه المرأة طاقات عظيمة يمكن أن تسخِّرها في بناء الجيل المسلم بالتربية الحقَّة والتنشئة الطيبة.

وكانت تأمل أن يرد ذكر معشر النساء في آيات القرآن الكريم ذكراً صريحاً، تنبيهاً من ربِّ العزة والجلال على أنّ النساء شقائق الرجال، فتنطلق بذكرهنّ الألسنة التالية الذاكرة إلى يوم الدين. فقد روى الترمذي[2] عن السيدة ـ أم عمارة ـ الأنصارية أنّها أتت رسول الله ﷺ فقالت: ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى النساء يُذْكَرْن بشيءٍ. فنزلت هذه الآية: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ

---

(١) صفة الصفوة: ٢/ ٣٤؛ أعلام النساء: ٥/ ١٧١.

(٢) سنن الترمذي: ٥/ ٣٣٠.

وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٣٥].

* * *

وتبدو مشاركتها في أحداث الدعوة من خلال الأحداث التالية:

١ ـ بيعة العقبة:

حضرت أم عمارة بيعة العقبة، وبايعت رسول الله ﷺ وهو في أكثر ظروف محنته شدّةً؛ وتفصيل ذلك: أنّ أبناء يثرب من قبيلتي الأوس والخزرج كانوا يَفِدُون إلى مكة في موسم الحج، وأسْلَم فريق منهم على يد رسول الله ﷺ، وعادوا إلى يثرب دُعاةً لهذا الدين الجديد، وفي موسم الحج في السنة الثالثة عشرة من النبوة حضرَ لأداء مناسك الحج بضعةٌ وسبعون رجلاً وامرأتان من المسلمين من أهل يثرب، جاؤوا ضمن حجاج قومهم من المشركين، وقد تساءل هؤلاء المسلمون فيما بينهم: إلامَ نترك

رسول الله ﷺ وحده في مكة ولا نُعزِّز جانبه، واتصلوا به، واتفقوا على أن يجتمعوا معه في أواسط أيام التشريق في الشعب الذي عند العقبة حيث الجمرة الأولى من منى.

قال كعب بن مالك ـ وهو ممَّنْ شهد العقبة وبايع فيها ـ[1]: ثم خرجنا إلى الحج، وواعدنا رسول الله ﷺ العقبة من أواسط أيام التشريق، فلما فرغنا من الحج، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام ـ أبو جابر ـ سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا أخذناه معنا، وكنا نكتم مَنْ معنا من قومنا من المشركين أمرنا، فكلَّمناه وقلنا له: يا أبا جابر إنّك سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، وإنّا نرغب بك عمّا أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً. ثمّ دعوناه إلى الإسلام؛ فأسلم، وشهد معنا العقبة.

قالت أم عمارة: شهدت عقد النبي ﷺ والبيعة له ليلة العقبة، وبايعت تلك الليلة مع القوم[2]؛ وتُتابع هذا الحدثَ بقولها: كانت الرجال تُصَفِّق على يدي رسول الله ﷺ ليلة العقبة،

---

(١) انظر في تفصيل ذلك: عيون الأثر ١/ ١١٩؛ الرحيق المختوم، ص ١٦٤؛ فتح الباري: ٧/ ٢٦١.

(٢) الطبقات الكبرى: ٨/ ٤١٢.

والعباس آخذ بيد رسول الله ﷺ، فلما بقيت أنا وأم منيع، نادى زوجي غزية بن عمرو: يا رسول الله هاتان امرأتان حضرتا معنا يبايعنك؛ فقال ﷺ: «قد بايعتهما على ما بايعتكم عليه، إني لا أصافح النساء»[1].

وقد حضر هذه البيعة بضعة وسبعون رجلاً وامرأتان بايعوه على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن لا تأخذهم في الله لومة لائم، وعلى أن ينصروه إذا قَدِم إليهم، ويمنعوه ممَّا يمنعون منه أنفسهم وأزواجهم وأبناءهم، ولهم الجنة[2].

وقد عُرِفت هذه البيعة ببيعة العقبة الثانية[3]، لأنّ الأُولى حضرها اثنا عشر رجلاً فقط في السنة الثانية عشرة من البعثة. وأحس الجميع بعد البيعة الثانية بالمسؤولية وأبدوا استعداداً عالياً للتضحية. يقول الشيخ المباركفوري في «الرحيق المختوم»[4]:

---

(١) الإصابة: ٤/ ٤٧٩.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٤٥٤.

(٣) وكانت في السنة الثالثة عشرة من النبوة.

(٤) الرحيق المختوم، ص ١٧٢.

«هذه هي بيعة العقبة الثانية ـ التي تعرف ببيعة العقبة الكبرى ـ وقد تمَّت في جوٍّ تعلوه عواطف الحب والولاء والتناصر بين أشتاتِ المؤمنين، والثقة والشجاعة والاستبسال في هذا السبيل؛ فمؤمن من أهل يثرب يحنو على أخيه المستضعف في مكة ويتعصَّب له، ويغضب من ظالمه، وتجيش في حناياه مشاعر الودّ لهذا الأخ الذي أحبَّه بالغيب في ذات الله». ثم قال:

«ولم تكن هذه المشاعر والعواطف نتيجة نزعة عابرة تزول على مرِّ الأيام، بل كان مصدرها هو الإيمان بالله وبرسوله وبكتابه، إيمان لا يزول أمام أي قوة من قوات الظلم والعدوان، إيمان إذا هبت ريحُهُ جاءت بالعجائب في العقيدة والعمل؛ وبهذا الإيمان استطاع المسلمون أن يسجلوا على أوراق الدهر أعمالاً، ويتركوا عليها آثاراً خلا عن نظائرها الغابر والحاضر، وسوف يخلو المستقبل».

* * *

٢ ـ بيعة الرضوان:

كان رسول الله ﷺ قد رأى في نومه أنه قد دخل البيت الحرام، وحلق رأسه، واستلم مفتاح البيت، وطاف هو وأصحابه واعتمر؛ وأخبر ﷺ أصحابه بذلك ففرحوا، ثم أعلمهم عن عزمه

على الخروج للعمرة، فشرعوا يتجهزون للسفر، وقد نوى رسول الله ﷺ العمرة ليأمنَ أهلُ مكة ومَنْ حولهم من حربه، وليعلموا أنّه خرج زائراً للبيت ومُعَظِّماً له[1].

وخرج المسلمون مع قائدهم، وكان عددهم ستة عشر ومئة رجل، وخرج معهم أربع نسوة هُنّ: أم سلمة[2] زوج النبي ﷺ، وأم عمارة، وأم منيع[3]، وأم عامر[4] الأشهلية[5]؛ وكان ذلك يوم الإثنين غرة ذي القعدة سنة ستٍّ من الهجرة.

بيد أنَّ قريشاً منعت رسول الله ﷺ وأصحابه من الوصول إلى البيت، وكادت الحربُ تشتعل أوارها، وهاهي السيدة

---

(١) السيرة الحلبية: ٣/ ٩.

(٢) هند بنت أبي أمية أم المؤمنين، العاقلة العالمة من السابقات إلى الإسلام، توفيت سنة ٥٩هـ؛ انظر: أم سلمة من سلسلة أعلام المسلمين رقم ٥٦.

(٣) أم منيع بنت عمرو، زوجها خديج بن سلامة، شهدت العقبة مع زوجها كما شهدت غزوة خيبر، أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ؛ انظر: الطبقات: ٨/ ٤٠٨.

(٤) أم عامر الأشهلية: اسمها فُكيهة، أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ، وروت عنه أحاديث، وشهدت معه بعض المشاهد؛ انظر: الطبقات ٨/ ٣١٩.

(٥) المغازي: ٢/ ٥٧٤.

أم عمارة تحدثنا عن ذلك الموقف الصعب بين المسلمين وقريش؛ فتقول: والرسل تختلف بين رسول الله ﷺ وبين قريش، فمرَّ بنا رسول الله ﷺ يوماً في منزلنا، قالت: فظننت أنّه يريد حاجة، فإذا هو قد بلغه أنّ عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ قد قتل، فجلس في رحالنا، ثم قال: «إنّ الله أمرني بالبيعة»؛ قالت: فأقبل الناس يبايعونه في رحالنا، حتى تدارك الناس، فما بقي لنا متاع إلا وُطِئ ـ وزوجها غزية بن عمرو ـ وقالت: فبايع رسول الله ﷺ يومئذٍ؛ قالت:

«فكأنّي أنظر إلى المسلمين قد تلبَّسوا السلاح ـ وهو معنا قليل ـ إنّما خرجنا عُمَّاراً، فأنا أنظر إلى غزية بن عمرو، وقد توشَّح بالسيف؛ فقمت إلى عمودٍ كنَّا نستظل به، فأخذته في يدي ومعي سكين قد شددته في وسطي، فقلت: إنْ دنا منّي أحدٌ رجوتُ أن أقتله. فكان رسول الله ﷺ يبايع الناس يومئذٍ، وعمر بن الخطاب آخذ بيده فبايعهم على ألا يفرُّوا»[1].

وقد سُمِّيت هذه البيعة بيعة الرضوان، التي تمَّت تحت الشجرة، وقد نزل فيها قرآنٌ يُتلى. قال تعالى: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ

(١) المغازي: ٢/٦٠٣؛ السيرة النبوية: ٢/٣٠٨؛ الرحيق المختوم، ص ٣٧٨.

ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [سورة الفتح: ١٨]؛ فقد بشّر الله عز وجل الصحابة الذين حضروا هذه البيعة تحت الشجرة بالرضا عنهم، لأنّهم أخلصوا قلوبهم ونيتهم لله عز وجل. وكان من ثمرة ذلك أنّه أنزل السكينة عليهم، ومنحهم الثواب والبشرى بالفتح القريب. وقد كانت البيعة على ألا يفروا[١]،

وحضرت أم عمارة هذه البيعة كما مرَّ بنا، فأضافت إلى مشاركتها في أحداث الدعوة حلقة جديدة من حلقاتها الناضرة، ونالت بُشرى رسول الله ﷺ فيمَنْ حضر البيعة.

عن أم مبشر أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها»[٢].

* * *

٣ـ صلح الحديبية:

وكان في آخر سنة ست للهجرة، وقد جرى هذا الحدث العظيم بعد الحدث الذي قبله، وقد مرَّ بنا كيف أنَّ قريشاً منعت

---

(١) الرحيق المختوم، ص ٣٨٣.

(٢) رواه مسلم ٤٤، فضائل الصحابة: ٤/ ١٩٤٢.

رسول الله ﷺ وأصحابه من الوصول إلى البيت، وكادت الحرب تشتعل بينهما، بيدَ أنّ قريشاً اقتنعت بعد ذلك بضرورة مصالحة جيش محمد ﷺ وموادعتهم، ولكنّها اشترطت على لسان سفيرها - سُهيل بن عمرو - على ألا يدخل محمد وأصحابه مكة في عامهم هذا، حتى لا يتحدث العرب أنَّ محمداً دخل البيت عنوة.

ثم تتلاحقُ الأحداثُ، وتعرض علينا أم عمارة طرفاً منها فتقول: «إنّي لأنظر إلى رسول الله ﷺ جالساً يومئذٍ متربعاً، وإنّ عباد بن بشر، وسلمة بن أسلم مقنّعان بالحديد قائمان على رأس النبي ﷺ، إذ يرفع سُهيل بن عمرو صوته، قالا: اخفض صوتك عند رسول الله ﷺ، وسُهيل باركٌ على ركبتيه رافع صوته، كأنّي أنظر إلى عَلَم[1] في شفته، وإلى أنيابه، وإنّ المسلمين لحَوْل رسول الله ﷺ جلوس»[2].

ولمّا فرغ رسول الله ﷺ من الكتاب، وانطلق سُهيل بن عمرو وأصحابه، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا فانحروا واحلقوا»، فلم يجبه رجل إلى ذلك، فقالها رسول الله ﷺ ثلاث مرات، كل ذلك يأمرهم، فلم يفعل واحدٌ منهم ذلك، فانصرف

---

(١) العلم: الشق في الشفة السفلى.
(٢) المغازي: ٢/ ٦٠٥ ـ ٦٠٦.

رسول الله ﷺ حتى دخل على زوجته أم سلمة مغضباً شديد الغضب ـ وكانت معه في سفره هذا ـ فاضطجع، فقالت: مالك يا رسول الله؟، قال: «عجباً يا أم سلمة، إنّي قلت للناس انحروا واحلقوا وحِلُّوا مراراً، فلم يجبني أحدٌ من الناس إلى ذلك، وهم يسمعون كلامي وينظرون في وجهي»، قالت: فقلت: يا رسول الله انطلق إلى هديك فانحره، فإنهم سيَقْتدون بك[1].

وأخذ ﷺ الحربة وقصد هديه، وأهوى بالحربة إلى البدن رافعاً صوته بسم الله والله أكبر. تقول أم عمارة: فكأنّي أنظر إلى رسول الله ﷺ مضطبعاً بثوبه، والحربة في يديه ينحر بها[2]. ثم دخل ﷺ قبة له من أدم حمراء ودعا بخراش، فحلق رأسه، ورمى شعره على شجرة، فأخذه النّاس وتحاصُّوه، وأخذت أمُ عمارة طاقات منه فكانت تغسلها للمريض وتسقيه فيبرأ. قالت أم عمارة: فجعل الناس يأخذون الشعر من فوق الشجرة، فيتحاصُّون[3] به، وجعلت أزاحم، حتى أخذت طاقات من شعر؛

---

(١) المغازي: ٢/ ٦١٣.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) يتحاصُّون: يقتسمون حصصهم.

فكان عندها حتى ماتت[1]؛ فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وحلقوا[2].

تقول أم عمارة: فأنا أنظر إلى رسول الله ﷺ حين نحر البُدْن، فدخل قبة له من أدم حمراء فيها الحلاق، فحلق رأسه، فأنظر إليه قد أخرج رأسه من قبته وهو يقول: «رَحِمَ اللهُ المحلقين» قيل: يا رسول الله والمقصرين؟ قال: رَحِمَ الله المحلقين ـ ثلاثاً ـ ثم قال: والمقصرين»[3]؛ وكانت أم عمارة تقول: قَصَّرْت يومئذٍ ـ بمقصٍّ معي ـ الشعر وما شذَّ.

وقد روى جابر أنّ عبداً لحاطب بن أبي بلتعة، جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطباً، فقال: يا رسول الله ليدخلنَّ حاطبٌ النار، فقال رسول الله ﷺ: «كذبت لا يدخلها؛ فإنّه شهدَ بدراً والحديبية»[4].

وتلك بشرى عاجلة من رسول الله ﷺ لكل مَنْ شهد هذا

---

(١) المغازي: ٢/ ٦١٥.
(٢) السيرة الحلبية: ٣/ ٢٣.
(٣) المغازي: ٢/ ٦١٥.
(٤) رواه مسلم ٤٤، فضائل الصحابة: ٤/ ١٩٤٢.

الموقف العظيم. وأم عمارة كما مرَّ بنا كانت تعيش أحداث الحديبية مرحلة مرحلة، كما مرّ بنا أنّها قامت إلى عمود فأخذَتْه في يدها، وشدَّت السكين في وسطها، لتدل على جاهزية عالية للقتال المباشر إلى جانب زوجها الذي رأته موشَّحاً بالسيف، وهذه صفة عظيمة كانت السيدة أم عمارة قد اتصفت بها؛ وهي الرغبة في مناجزة أعداء الله، كي لا تكون المسلمة لقمة سائغة لأعدائها، فما تدري أتكون بين أيديهم، وهي لا تريد أن تذهب رخيصة هدراً.

* * *

٤ ـ عمرة القضاء:

ويقال لها عمرة القضية؛ لأنّ رسول الله ﷺ قاضى قريشاً عليها ـ أي صالَحهم ـ ومن ثَمَّ قيل لها: عمرة الصلح، ويقال لها: عمرة القصاص لقوله تعالى: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٌۚ﴾[1] [سورة البقرة: ١٩٤].

ولمَّا دخل هلال ذي القعدة سنة سبع للهجرة، أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يعتمروا قضاءً لعمرتهم التي صدَّهم عنها المشركون بالحديبية، وألا يتخلَّف أحدٌ ممَّنْ شهد الحديبية، فلم

---

(١) انظر السيرة الحلبية: ٣/ ٦١.

يتخلف أحد شـهدها إلا رجال استُشهدوا بخيبر ورجال ماتوا. وخرج مع رسول الله ﷺ قوم من المسلمين سوى أهل الحديبية ممَّنْ لم يشهد صلح الحديبية عُمَّاراً، فكان المسلمون في عمرة القضية ألفين[1]. وكانت أم عمارة رضي الله عنها ممَّنْ شهد هذه العمرة.

تقول أم عمارة: شهدت عمرة القضية مع رسول الله ﷺ، وكنت قد شهدت الحديبية، فكأنّي أنظر إلى النبي ﷺ حين انتهى إلى البيت وهو على راحلته، وابن رواحة آخذ بزمام راحلته، وقد صفَّ المسلمون له حين دنا من الركن حتى انتهى إليه، فاستلم الركن بمحجنه، مضطبعاً بثوبه على راحلته، والمسلمون يطوفون معه قد اضطبعوا بثيابهم[2].

وتقول أيضاً: لم يتخلف أحد من أهـل الحديبيـة إلا اعتمر عمـرة القضية، إلا مَنْ مات أو قُتل؛ فخرجتُ ونسوة معي في الحديبية، فلم نصل إلى البيت، فقصّرنَ من أشعارهن بالحديبية ثم اعتمرن مع النبي ﷺ قضاء لعمرتهنَّ، ونحر رسول الله ﷺ بين الصفا والمروة[3].

---

(١) المغازي: ٢/ ٧٣١.

(٢) المصدر السابق: ٢/ ٧٣٥ ـ ٧٣٦.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ٧٣٠؛ المغازي: ٢/ ٧٣٧.

وهكذا فعمـرة القضـاء مشـهد آخـر تشـهده أم عمـارة مع رسول الله ﷺ وتروي بعض مراحله.

* * *

٥ ـ حضور أم عمارة موت عبد الله بن أُبَيّ:

عبد الله بن أُبيّ بن مالك بن الحارث المشهور بابن سلول، رأس المنافقين في الإسلام من أهل المدينة، كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم، أظهر الإسلام بعد وقعة بدر، ولما تهيأ النّبي ﷺ لوقعة أحد انخزل عبد الله بن أبيّ بجيشه وعاد بهم إلى المدينة، وفعل ذلك يوم التهيُّؤ لغزوة تبوك. وكان كلما حلَّتْ بالمسلمين نازلة شمت بهم، وكلما سمع بسيِّئة نشرها»[١].

مرض عبد الله بن أبيّ هذا في ليالٍ بقين من شوال سنة تسع للهجرة، بعد عودة رسول الله ﷺ وأصحابه من تبوك، ومات في ذي القعدة، وكان مرضه عشرين ليلة، فكان رسول الله ﷺ يعوده فيها؛ فلما كان اليوم الذي مات فيه، دخل عليه رسول الله ﷺ وهو يجود بنفسه، فقال له رسول الله ﷺ: «قد نَهَيْتُك عن حبِّ

---

(١) الأعلام: ٤/ ٦٥.

اليهود». فقال عبد الله بن أبيّ: قد أبغضهم سعد بن زرارة فما نفعه؛ ثم قال ابن أبي: يا رسول الله ليس بحين عتاب، هو الموت، فإذا متُّ فاحضر غُسْلي وأعطني قميصك أكفن فيه؛ ثم قال: صلِّ عليّ واستغفر لي...

فتقدم رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فلما قام وثب إليه عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله أتصلي على ابن أبيّ؟ وقد قال يوم كذا وكذا، ويوم كذا وكذا، فعدَّ عليه عمر، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: أخِّر عني يا عمر، فلما أكثر عليه عمر، قال: إنّي قد خُيِّرت فاخترت، ولو أعلم أنّي إذا زدت على السبعين غُفِرَ له زدت عليها؛ فصلى رسول الله ﷺ عليه ثم انصرف، ثم نزل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ [سورة التوبة: ٨٤].

وكانت أم عمارة تحدِّث وتقول: شهدنا مَأْتم ابن أُبيّ، فلم تتخلف امرأةٌ من الأوس والخزرج إلا أتت جميلة بنت عبد الله بن أبيّ، وهي تقول: واجبلاه ـ ما ينهاها أحد ولا يعيب عليها ـ واجبلاه، واركناه. قالوا: ولقد انْتُهي به إلى قبره[1].

* * *

---

(١) المغازي: ٣/١٠٥٨.

الفصل الرابع

جهادها



جهـــادهَا

تعامل الجيل القرآني الفريد جيل الصحابة الكرام رجالاً ونساءً مع لوازم الدعوة ومتطلباتها من منطلق المسؤولية الكاملة، فَسعَوا في تقديم كل ما في وسعهم لخدمة هذه الدعوة بالمال والنفس والوقت والتضحيات الجمَّة؛ وذلك لأنَّ تربية الوحي لهم عن طريق القرآن الكريم وتوجيه النبي ﷺ وجدت استعداداً عالياً لتؤتي أكلها، فليس غريباً أن يكون من بين هذا الجيل العظيم أمثال هذه المرأة التي لا يعادلها اليوم عشرات الرجال، فلا يكون لديهم طاقتها وحماستها واستعدادها للبذل من غير تردد أو إحجام.

وسوف نعرض في هذه السطور طرفاً من جهادها، وصوراً من عطائها المشرق، وثباتها في المواقف الصعبة.

* * *

١ ـ **غزوة أُحد**: وكانت في شوال سنة ثلاث من الهجرة.

يتضح من النصوص التي بين أيدينا أنّ للسيدة أم عمارة موقفين جليلين في هذه الغزوة:

الموقف الأول: سقاية الجند، فقد ذكر الذهبي[١] أنّها خرجَتْ مع زوجها غزية بن عمرو ومع ولديها من زوجها الأول زيد بن عاصم، والولدان هما: عبد الله وحبيب، وقد اشتغلت أم عمارة في أول النّهار بسقاية الجرحى والعطشى، وكان معها قِرْبة صغيرة فيها ماء بارد، يسمُّونها «الشَّنّ»، وهذه الخدمة من أم عمارة تشير إلى دورٍ للمرأة في المجتمع المسلم إذا خرج للجهاد، فقد رغبت في مشاركة الجيش بنفسها، وتقديم ما تستطيعه في سبيل التخفيف عن جرحاهم، فالجريح كما هو معروف ينزف، فيحتاج جسمه إلى سوائل تعوّض له ما فقده.

الموقف الثاني: القتال؛ من المعلوم من وقائع غزوة أحد أنّ المسلمين انتصروا على عدوهم أوائل المعركة، ثم حدثت حركة خالد بن الوليد، ـ وكان قائداً لجيش المشركين قبل

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢٧٨؛ وانظر الطبقات الكبرى: ٨/ ٤١٢.

إسلامه ـ وانشغل الرماة بالغنائم، ثمّ بدأت الريح تدور مع قريش، وها هو جيشُ المسلمين يتقهقر، والمشركون حريصون على الوصول إلى الرسول ﷺ. إنّه موقف عصيب شديد بالغ الشدة؛ فما موقف أم عمارة؟.

يذكر ابن سعد في «الطبقات»[1] رواية مشاركتها على لسانها، فيقول: كانت أم سعد بنت سعد بن الربيع[2] تقول: دخلت على أم عمارة، فقلت: حَدِّثيني خبرك يوم أحد؛ فقالت: خرجْتُ أول النهار إلى أُحُد وأنا أنظر ما يصنع الناس، ومعي سِقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه، والدولة والريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون، انْحُزت إلى رسول الله ﷺ، فجعلت أباشر القتال وأدافع عن رسول الله ﷺ بالسيف، وأرمي بالقوس حتى خَلَصَتْ إليَّ الجراح؛ قالت أم سعد: فرأيت على كتفها جرحاً له غَوْرٌ أجوف، فقلت: يا أم عمارة مَنْ أصابك هذا؟ قالت: أقبل ابن قميئة وقد وَلَّى

---

(١) الطبقات الكبرى: ٨/ ٤١٣.

(٢) هي جميلة بنت سعد بن الربيع، أمها عمرة بنت حزم، ولم يكن لسعد بن الربيع ولد غيرها، تزوجها زيد بن ثابت، استشهد سعد وأمها بها حبلى؛ انظر الطبقات الكبرى: ٨/ ٣٥٩.

النّاس عن رسول الله ﷺ يصيح: دُلُّوني على محمد، فلا نجوت إن نجا، فاعترض له مصعب بن عمير وأناس معه؛ فكنتُ فيهم فضربني هذه الضربة، ولقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدوَّ الله كان عليه درعان[1].

وقاتل مصعب بن عمير ـ رضي الله عنه ـ دون رسول الله ﷺ حتى قتله ابن قميئة لعنه الله، وهو يظن أنّه رسول الله ﷺ، فرجع إلى قريش، فقال: قتلتُ محمداً! فاعترضه رجال من المسلمين، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يخلوا طريقه، وتناول النبي ﷺ الحربة من بعض أصحابه فخدشه بها في عنقه خدشاً غير كبير، احتقن الدم بسبب ذلك الخدش، فقال: قتلني واللهِ محمد. فقالوا: ذهب ـ واللهِ ـ فؤادُك، إنّك لتأخذ السهام من أضلاعك فترمي بها، والله ما بك من بأس ما أخدعك!! إنّما هو خدش، لو كان الذي بك بعين أحدنا ما ضرّه؛ فقال: واللات والعزى لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز[2] لماتوا جميعاً، إنّه قد قال لي بمكة: «أنا قاتلك»

---

(١) المغازي: ١/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩؛ السيرة الحلبية: ٢/ ٢٣٠؛ الإصابة: ٤/ ٤١٨؛ عيون الأثر: ٢/ ٢١؛ الطبقات: ٨/ ٤١٣؛ حياة الصحابة: ١/ ٥٩٤ ـ ٥٩٥.

(٢) سوق معروفة بمكة من جملة أسواق الجاهلية كان عند عرفة.

فوالله لو بصق عليّ لقتلني[1]. فانصرف ابن قميئة من ذلك اليوم إلى أهله، فخرج إلى غنمه، فوافاها على ذروة جبلٍ، فأخذ فيها يَعْتَرِضُ عليها، ويشدّ على تيسها، فنطحه نطحة أرداه من شاهقة الجبل فتقطع[2].

وهاهي أم عمارة وقد شعرت بدقة الموقف، ورسول الله ﷺ مستهدَف، فمضت تفديه بروحها، وتشارك الرجال الأبطال في ذلك، وتناجز العدو، فيضربها وتضربه، فلا تعبأ بالجراح التي أصابتها ما دام العدو ابن قميئة لم يحقق غرضه.

وفي رواية ابن سعد: أنَّ رسول الله ﷺ كان يراقب الموقف عن كثب، فيعجب بصنيع أم عمارة ويقول: «لَمَقام نَسيبة بنت كعب اليوم خيرٌ من مقام فلان وفلان»[3]. قال ابن سعد: كان يراها يومئذٍ تقاتل أشدّ القتال، وإنَّها لحاجزة ثوبها على وسطها حتى جُرحت ثلاثة عشر جرحاً وكان أعظم هذه الجراح ناشئاً من ضربة الفارس المشرك ابنِ قميئة، حيث جلست تداويه سنة كاملة[4].

---

(١) السيرة الحلبية: ٢/ ٢٣١.
(٢) عيون الأثر: ٢/ ٢٠.
(٣) الطبقات الكبرى: ٨/ ٤١٣.
(٤) المصدر السابق نفسه؛ المغازي: ١/ ٢٦٩.

إنّها إذن في وسط المعركة، وقد جعلت ثوبها على هيئةٍ تُسَهِّل عليها الحركة، وأصيبت في جسدها ثلاثة عشر جرحاً، فليس غريباً أن يقول لها رسول الله ﷺ: «ومَنْ يطيق ما تطيقين يا أم عمارة؟»[1]. إنّه لم يمنحها هذا الوسام إلا بعد أن سبر بلاءها، ولمس استعدادها لأعظم التضحيات مهما كانت، إنّها الفارسة المتميزة المجاهدة في سبيل الله، الباذلة لكل ما تملك، لأنّها تعلم ما معنى الشهادة وما معنى الدفاع عن حمى الإسلام وحمى قائده؟؟.

وثمة روايات أخرى تكشف عن أبعاد استبسالها في موقف أُحد، فتقول على لسانها: «رأيتُني وقد انكشف الناس عن رسول الله ﷺ، فما بقي إلا في جماعة ما يُتِمُّون عشرة، أنا وابناي وزوجي بين يدي رسول الله ﷺ ندافع عنه والنّاس يمرون به منهزمين»[2]. وإنّها والله لحظات عصيبة صعبة، حيث تدافعَ القومُ بعد أن بهر أنفاسهم وعيونهم التغيُّر المفاجئ الذي طرأ على ساحة المعركة، فالنّاس في هلع وجزع يركضون مُوَلِّين وجوههم، وأم عمارة ثابتة صامدة، ويراها رسول الله ﷺ وليس معها ترس،

(١) المغازي: ١/ ٢٧١.
(٢) المصدر السابق: ١/ ٢٧٠.

ويمر بجانبها رجل معه ترس، فيقول ﷺ: «أَلْقِ ترسك إلى مَنْ يقاتل». ففعل الرجل؛ وسرعان ما حملت أم عمارة الترس، تقول رضي الله عنها: وجَعَلْتُ أتترَّس به عن رسول الله ﷺ[1].

وتروي ـ رضي الله عنها ـ لنا مشهداً خاطفاً من مشاهد بلائها في هذه المعركة، حيث يُقبِل أحد فرسان المشركين، وهو يركب فرسه، فيهوي بسيفه عليها، يريد أن يصيب منها مقتلاً، ولكن لله درّها أنّى يصل إليها وهي المتوشحة بالترس؟ فتصدُّ ضربته وتجعل سيفه ضعيفاً لا يقوى على شيء، فأراد الفارسُ أن يهرب وعزم على ذلك؛ بيد أنَّ الفارسة المجاهدة تضرب فرسه ضربة تنزل عليه كالصاعقة، فيقع على ظهره؛ والرسول ﷺ يتابع هذا الموقف البطولي كله، فما كان منه إلا أن يقول بأعلى صوته: يا بن أم عمارة أمَّك أمَّك، فالتفت ابنها إليها يشاركها الإجهاز على الفارس المشرك حتى أرْدَوه قتيلاً.

ويردد المصنفون في السيرة قولاً لرسول الله ﷺ وهو يُقرُّ لأم عمارة فضلها وبلاءها، فيقول: «ما التفتُّ يميناً ولا شمالاً

---

(١) المغازي ١/ ٢٧٠؛ الطبقات الكبرى: ٨/ ٤١٤.

إلا رأيتها تقاتل دوني»[1]. وكأنّي بهذا القول يتضمن الإقرار باستبسالها ومقاتلتها للعدو قتالاً مباشراً حسب استعداداتها في ذلك الوقت، كما تتضمن هذه المقولة شدّة حماستها وخفة حركتها واتساع دائرتها، فهي تنتقل من اليمين إلى اليسار حريصة على أن تسدّ كل الثغرات الممكنة، هذا بالإضافة إلى حبّها الكبير لرسول الله ﷺ، ورغبتها في الذود عنه، فهي تقاتل دونه وتمنع المشركين من الوصول إليه.

أيتها المجاهدة المحتسبة ماذا تنتظرين في ساحة الوغى؟ ألم ينصرف كبار الرجال لينجوا من الموت؟ ألم يستشهد مصعب بن عمير وعبد الله بن جحش وحمزة سيد الشهداء؟ إنّه الموت والهلاك، ما الذي جعلك تثبتين أمام الأهوال والشدائد؟

لله درُّكِ!! إنّه الإيمان الصادق، والحب الخالص لله ولرسوله ولدينه، لك الله أيتها المجاهدة الصادقة، ألم تتعلمي في مدرسة النبوة أنّ الحياة الدنيا فانية، والآخرة هي الباقية؟ ألم تبايعي رسول الله ﷺ على الموت والثبات؟ فَلِمَ إذن الفرار من ساحة الوغى والميتة واحدة؟ فلِمَ لا يكون الثبات في هذا الموطن

---

(١) الطبقات: ٨/ ٤١٥

الطاهر، لعلّ الله يمنّ عليك بالشهادة، أو النصر المبين؟!

وتروي أم عمارة مشهداً آخر رائعاً من مشاهد بلائها العجيب في معركة أحد؛ فقد أصيب ابنها عبد الله بن زيد ـ وهو ولدها من زوجها الأول زيد بن عاصم ـ فجُرح في عضده اليسرى، إذ ضربه أحدُ فرسان قريش ضربة خاطفة وهرب، وها هو النزيف الغزير يتساقط من العضد المجروحة؛ وأم عمارة ترى هذا المشهد، فتسرع بتضميده، فهي ساقية للجرحى، ممرِّضة مستعدة لمهمتها بالعصائب والخِرَق التي كان القوم يعرفونها، فعكفت على ابنها تُمرضه، حتى إذا اطمأنت عليه بعد أن عالجت نزيفه قالت له: «انهض بُني فضارب القوم». لم تقل له: الزم الراحة فقد يعاودك النزيف؛ وهل خَفَّتْ حماستها في متابعة المعركة التي كادت تُودي بحياتها وبحياة ولدها؟ كلا والله. فلتسمع النساء في عالمنا المعاصر ماذا قالت أم عمارة لفلذة كبدها الجريح، وفي ظروف عصيبة صعبة؛ قالت له بملء فيها: «انهض بُنيّ فضارب القوم»[1].

أجل تلك مقولتها لابنها عبد الله. صلى الله عليك

---

(١) المغازي: ١/ ٢٧٠ ـ ٢٧١.

يا رسول الله صدقَتْ فراستك، وصدقت مقولتك لها في تلك اللحظة: «ومَنْ يطيق ما تطيقين يا أم عمارة؟». ولم ينته المشهد بعد؛ حيث إنّ الفارس المشرك يكرُّ على ابنها طامعاً في قتله، ويحسبه الجريح المتهالك، ويلمحه رسول الله ﷺ من بعيد، فيقول لأم عمارة: «هذا ضارب ابنك». وكأنّي بأم عمارة الأنثى المجاهدة المستبسلة تفتح فاها تريد أن تلتقم ذلك الفارس لأنّه ضارب ابنها، وهو مشرك قبل كل شيء؛ فتعترض له وتضرب ساقه، فيخرُّ على الأرض، وأقبلت هي ومَنْ كان معها على الفارس المشرك يحيطونه بالسلاح حتى أوردوه الموت؛ فابتسم رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، وقال: «لقد أخَذْتِ ثأرك يا أم عمارة، الحمد لله الذي ظَفَّرك وأقرّ عينك مِنْ عدوك وأراك ثأرك بعينك»[1].

وفي هذه الساحة كان جرح أم عمارة لا يخفى على أحد، فالدم يتقاطر من كتفها غزيراً، مِمَّا جعل رسول الله ﷺ يُشْفِق عليها ويطلب من ولدها عبد الله أن يعصب جرحها، وقال له: «أمك أمك». وفي هذه الساحة المباركة نفسها لم يملك رسول الله ﷺ إلا أن رفع يديه إلى السماء وهو يدعو من سويداء

(١) الطبقات الكبرى: ٨/ ٤١٤؛ المغازي: ١/ ٢٧١.

قلبه: «بارك الله عليكم من أهل بيت، رحمكم الله أهل بيت»؛ ثم يلتفت رسول الله ﷺ إلى ابنها عبد الله ويقول له: «مقام أمك خيرٌ من مقام فلان وفلان، ومقام زوجها خير من مقام فلان وفلان، ومقامك خير من مقام فلان وفلان، رحمكم الله أهل البيت»[1].

ومضى رسول الله ﷺ يثني خير الثناء على مقامها رضي الله عنها.

وفي هذه اللحظة التي تهتز لها أبدان المتقين التي تهفو إلى هذا الدعاء المبارك الصادر من فم رسول الله ﷺ تلتفت أم عمارة إلى رسول الله ﷺ قائلة: يا رسول الله ادعُ الله أن نرافقك في الجنة؛ وسرعان ما أجابها رسول الله ﷺ: «اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة».

أرأيتم أيها المؤمنون المجاهدون العاملون بشرى أعظم من هذه البشرى ودعاء أعظم من هذا الدعاء، إنَّ رسول الله ﷺ يدعو لأم عمارة بالجنة التي هي الأمل المنتظر لدى كل مسلم. فهنيئاً لك أيتها الطاهرة الصابرة، هنيئاً لك رفقة رسول الله ﷺ في الجنة، بورِكْتِ وبورك لك المقام الطيب. لم تشغلها آلامها

---

(١) المغازي: ١/ ٢٧٣.

ولا دماؤها المتفجرة من جروحها عن سماع كلماته الطيبة ﷺ ومتابعة حديثه. وتنفجر أم عمارة باكية فرحة وتقول كلمتها المدوّية لجيلها وللأجيال التالية من بعدها، تقولها تلك الأنثى، وهي ابنة المدرسة النبوية: «ما أبالي ما أصابني من الدنيا»[1] فإن أصبت بمالي أو جسمي أو ولدي، أو خسرت كل شيء أملكه في هذه الدنيا، فالعوض هو الجنة، والحياة الدنيا فانية لا قيمة لها.

إنّ بسالة أم عمارة في معركة أُحُد شَجَّع الآخرين على أن يطلبوا منها أن تقارن بين موقف المسلمات المجاهدات ونساء قريش في هذه المعركة؛ فقيل لها: هل كانت نساء قريش يومئذ يقاتلن مع أزواجهن؟ فقالت: أعوذ بالله، والله ما رأيت امرأة منهن رمَتْ بسهم ولا حجر، ولكن رأيت معهنّ الدفوف، يضربن ويذكِّرْن القوم بقتلى بدر، ومعهنّ مكاحل، فكلما ولَّى رجل منهم من ساحة المعركة ناولته إحداهن مكحلة، وقالت له: إنّما أنت امرأة. ولقد رأيتهن منهزمات، وغفل عنهنّ الرجال أصحاب الخيل، لينجوا على ظهور خيولهم، وذلك لأنَّ أوائل المعركة كانت لصالح المسلمين، ومضت النساء تتبع الرجال على الأقدام وكنَّ يسقطن في الطريق.

---

(١) السيرة الحلبية: ٢/ ٢٣٠؛ المغازي: ١/ ٢٧٣.

وتتحدث أم عمارة عن هند بنت عتبة، وتصفها بالمرأة البدينة الثقيلة القاعدة التي لا تجرؤ على أي ضَرْب من ضروب المناجزة في المعارك، حتى تغيَّر وجه المعركة وأصاب الكفار من المؤمنين ما أصابوا. وتقول رضي الله عنها: «فعند الله نحتسب ما أصابنا يومئذٍ مِنْ قِبَل الرماة ومعصيتهم لرسول الله ﷺ»[1].

وهذه المقارنة تعطينا الفرق واضحاً بين ما كانت عليه المرأة المؤمنة، والمرأة المشركة.

لقد مرَّ بنا في هذه الغزوة ـ غزوة أحد ـ أنّ أم عمارة أهابت بابنها عبد الله أن يتابع المعركة، وهو في حالةٍ من النزيف الشديد، فقالت له: انهض بُني فضارب القوم. وهتاف الأم الداعية المسلمة بفلذة كبدها أن ينهض غير هيّاب ولا وجل أمرٌ لا يُستبعد من تلك المرأة التي سرى حب الدعوة والجهاد في دمها.

وهذا يذكِّرنا بموقف الخنساء في حرب القادسية[2]، حيث

---

(١) المغازي: ١/ ٢٧٢؛ أعلام النساء: ٥/ ١٧٣.

(٢) تماضر بنت عمر الرياحية، من بني سليم، أشهر شاعرة عرفها =

كانت وسط المعركة مصطحبة لأولادها الأربعة، وكانت قد عقدت معهم اجتماعاً وخاطبتهم بقولها: يا بَني! أنتم أسلمتم طائعين، وهاجـرتم مختارين، فوالله الذي لا إله غيـره، إنّكم لبنو رجل واحد، كما أنّكم بنو امرأة واحدة، ما خُنْتُ أباكم، ولا فضحتُ خالكم، ولا هجنت حسبكم، ولا غيّرت نسبكم، وقد تعلمون ما أعدَّ الله للمسلمين من الثواب العظيم في حرب الكافرين، واعلموا أنّ الدار الباقية خيرمِنَ الدار الفانية، يقول الله عز وجل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [سورة آل عمران: ٢٠٠]. فإذا أصبحتم غداً، فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين، وبالله على أعدائه مستنصرين.

وهكذا شحنت هذه المرأة جذوة طلب الموت في أبنائها الأربعة، فلما أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم؛ فتقدموا واحداً بعد واحد، ينشدون الأشعار الحماسية، ويستعذبون الموت في

= العرب، عاشت أكثر عمرها في العصر الجاهلي، وأدركت الإسلام فأسلمت، وفدت على رسول الله ﷺ مع قومها، فكان ﷺ يستنشدها ويعجبه شِعْرُها، توفيت سنة ٢٤هـ؛ انظر الإصابة: ٤/ ٢٨٧؛ أعلام النساء: ١/ ٣٦٠.

تلك الساحة المباركة ويفضلونه على الحياة، فقاتلوا حتى استشهدوا جميعاً. فلمّا بلغها خبر استشهادهم قالت بملء فيها: «الحمد لله الذي شرَّفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته».

قالت المرأة الصابرة هذا القول اللامع حامدة ربها الذي شرَّفها بقتل أولادها جميعاً. والعجب لا ينقضي من أمرها لأنّها هي نفسها التي رُزِئت بأخويها صخر ومعاوية في الجاهلية، فمضت تنظم الأشعار في رثائهما، وظلت تبكيهما حتى عميت. فالفرق كبير بين موقفها في الجاهلية، وموقفها في الإسلام. فليس بدعاً على أم عمارة أن تدفع بولدها نحو حومة الوغى، وقد أثقلته الجراح، وما أدراكم ما حومة الوغى؟ إنّها الشهادة أو الجراح أمام عينها.

كما مرَّ بنا أن أم عمارة دافعت عن رسول الله ﷺ دفاع الرجال الشجعان، وفَدَتْه بروحها وقَدَّمت أمامه كل طاقاتها الأنثوية حتى لفت هذا الموقف نظر رسول الله ﷺ؛ فقال مقولته السالفة: «ما التفتُّ يميناً ولا شمالاً إلا رأيتها تقاتل دوني». ودفاع نساء الصحابة عن رسول الله ﷺ وافتداؤهن إياه بمهجهن وحرصهن على راحته وسلامته كان مبعث قلقٍ فيهن.

وفي كتب السيرة تزدحم الأمثلة التي تؤكد ذلك؛ ففي كتاب «المغازي»[1]: «خرجت السميراء بنت قيس إحدى نساء بني دينار إلى أحد، وقد أصيب ابناها مع النبي ﷺ بأحد ـ النعمان وسُليم ـ فلمَّا نُعيا لها، قالت: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيراً، هو بحمد الله صالح على ما تحبين، قالت: أَرُونيه أنظر إليه؛ فأشاروا لها إليه، فقالت: كلُّ مصيبة بعدك يا رسول الله جلل ـ أي يسيرة ـ وخرجت تسوق بابنيها بعيراً تردهما إلى المدينة، فلقيتها عائشة رضي الله عنها فقالت: ما وراءك؟ قالت: أمَّا رسول الله، بحمد الله فبخير، لم يمت، واتخذ الله من المؤمنين شهداء ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ﴾ [سورة الأحزاب: ٢٥]. قالت: مَنْ هؤلاء معك؟ قالت: ابناي»[2].

أجل كل مصيبة بعدك يا رسول الله يسيرة؛ هذا هو لسان الحال والمقال الذي تردده الصحابيات اللواتي أحببن قائد الدعوة وحرصن على سلامته، وقد عرفنا من خلال دراستنا لأم سليم بنت ملحان كثيراً من النماذج الناطقة بذلك[3].

---

(١) المغازي: ١/ ٢٩٢.

(٢) المغازي: ١/ ٢٩٢.

(٣) انظر: دراسة لهذه الصحابية، طبعتها دار القلم في سلسلة «أعلام المسلمين».

كما مرَّ بنا جهاد أم عمارة، ذلك الجهاد المباشر وسط المعركـة إذا تطلَّب الأمـر ودَعَتْ إليـه الحاجـة وعَـزَّ الرجـال المقاتلون، فها هي أم عمارة في أُحُد وقد انهزم الناس تقاتل بنفسها، وليس هذا بالغريب على المرأة المسلمة، وكتب السيرة مفعمة بمثل هذه المشاهد، فها هي صفية بنت عبد المطلب ـ عمة رسول الله ﷺ ـ رضي الله عنها تجيء يوم أحد وقد انهزم الناس وولوا الأدبار وبيدها رمح تضرب في وجوه المشركين[١].

وتشير كتب السيرة أيضاً إلى اليهودي الذي كان يطوف بالحصن بين النسـاء المسـلمات في غـزوة بني قريظة، وكان رسول الله ﷺ مشغولاً بقتال اليهود، فما كان من صفية إلا أن شدَّتْ وسطها بما يُسَهِّل عليها حركتها، ثم أخذت عموداً ونزلت من الحصن إليه، فضربته بالعمود حتى قتلته[٢]. كما تذكر كتب السيرة أن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قتلت يوم اليرموك تسعة من الروم بعمود من أعمدة الخيمة[٣].

كما مرَّ بنا حرص أم عمارة على أداء واجبها خلف رجال

---

(١) حياة الصحابة: ١/ ٥٩٦.
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) المصدر السابق: ١/ ٥٩٧.

الجيش المحاربين، حيث تقوم بسقي الجرحى ومداواة المرضى، وهذا دور مناسب لطاقة الأنثى. وكتب السيرة مليئة بنماذج من نساء الصحابة اللواتي تبعن الجيش الغازي وأدَّيْنَ هذا الدور، ففي طبقات ابن سعد[1]: «أنّ حمنة بنت جحش رضي الله عنها حضرت أُحُداً تسقي العطش وتداوي الجرحى».

وروى صاحب المغازي[2] عن أم سنان قالت: «لما أراد رسول الله ﷺ الخروج إلى خيبر جئتُه، فقلت: يا رسول الله أخرج معك في وجهك هذا، أخرُز السِّقاء، وأداوي المريض والجريح إنْ كانت جراح، وأنظر الرَّحْلَ. فقال رسول الله ﷺ: اخرجي على بركة الله، فإنّ لك صواحب قد كلَّمْنني وأذنتُ لهن من قومك ومن غيرهم، فإن شئتِ فمع قومك وإن شئت فمعنا؛ قلت: معك، قال: فكوني مع أم سلمة زوجتي، قالت: فكنت معها؛ فكان رسول الله ﷺ يغدو من «الرجيع» كل يوم عليه الدِّرع، فإذا أمسى رجع إلينا، فمكث على ذلك سبعة أيام حتى فتح الله «النَّطاة»، فلما فتحها، تحوَّل إلى الشق، وحوَّلنا إلى المنزلة، فلما فتح خيبر؛ قسم لنا من الفيء فأعطاني خَرَزاً وحُلياً

(١) الطبقات الكبرى: ٨/ ٢٤١.
(٢) المغازي: ٢/ ٦٨٧.

من فضة، أُصيبتْ من المغنم، وكان رجال من أصحابه قد جُرحوا؛ فكنت أدوايهم بدواء كان عند أهلي فيبرؤون».

وتذكر كتب السيرة أيضاً عن الربيع بنت معوذ[1] رضي الله عنها قالت: «كنّا مع النبي ﷺ نسقي ونداوي الجرحى، ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة. وعن أم عطية الأنصارية رضي الله عنها قالت: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، أخلفهم في رحالهم، وأصنع لهم الطعام، وأدواي الجرحى، وأقوم على الزَّمنى. وعن ليلى الغفارية رضي الله عنها قالت: كنتُ أخرج مع رسول الله ﷺ وأداوي الجرحى».

* * *

٢ ـ غزوة حمراء الأسد:

يشاء الله عز وجل أن تدور الدائرة على المسلمين في غزوة أُحد لأنهم خالفوا أوامر قائدهم ﷺ فتطلعوا نحو الغنائم ومتاع الدنيا الزائل، وانكبّتْ أم عمارة رضي الله عنها على جرحها الغائر تداويه وتضمده، لأنّه كان جرحاً بليغاً أثَّرَ في كتفها؛ وقد عزم رسول الله ﷺ صبيحة يوم أحد على الخروج خلف قريش، وأذَّن

---

(١) حياة الصحابة: ١/ ٥٩٣.

مؤذنه بنفير عام بألّا يخرج إلا مَنْ حضر أحداً، وغايته من ذلك إرهاب العدو، وليبلّغهم أنّ المسلمن خرجوا في طلبهم، وفي هذا رفع لمعنويات المسلمين من جهة، وإشعار لقريش أنّ الذي أصاب المسلمين يوم أحد لم يُضْعف شوكتهم[1].

فنفر المسلمون جميعاً طائعين، ولم تتخلف عن الاستجابة أم عمارة الصابرة المجاهدة الجريح، فشدَّت عليها ثيابها، ولسان حالها يقول : لبيك يا رسول الله على ما بي من جراح، وما كنت لأردَّ لك طلباً أو أنكث عن عزيمتك، فأنا بين يديك. بيد أنّ إلحاح النزيف من جرحها منعها من الخروج، وقلبها يتقطع حسرة وألماً؛ لأنّها لم تستطع أن تلبي داعي الجهاد، وتتبع الجند الذين نفروا. وانكبَّ عليها أهلها يُهَدِّئون من جرحها ويضمدونها[2].

ولمّا رجع رسول الله ﷺ من حمراء الأسد كان فكره مشغولاً عند المجاهدة الجريح التي أبلت بلاءً حسناً في أحد، وأراد أن يتعرف حالها ويطمئن عنها، فما لبث أن أرسل إليها أخاها عبد الله بن كعب المازني ليأتيه بأخبارها؛ فوجدها في

---

(١) السيرة الحلبية: ٢/ ٢٥٧.

(٢) الطبقات الكبرى: ٨/ ٤١٣.

صحة وعافية، فعاد عبد الله إلى رسول الله ﷺ يطمئنه بسلامتها.

قال ابن سعد[1]: «فسُرَّ بذلك النبي ﷺ».

أجل يا رسول الله لقد انشغل بالك بهذه المجاهدة الباسلة التي وقفت يوم أحد تذود عنك وتَفْديك بروحها؛ فحقّ لك أن تُسَرَّ بسلامتها، وحقّ لك أن تسأل عنها فور عودتك إلى المدينة المنورة، فهذا من خُلُق الوفاء الذي تَعَلَّمه أصحابك منك. وأنت يا أم عمارة فلك الله، نَزَفَ جرحك الغائر ولم يمنعك من طلب الخروج مع المسلمين، فتصدق بذلك فِراسة النبي ﷺ حين قال لك: «ومَنْ يطيق ما تطيقين يا أم عمارة»؟ وأنت القائلة: «ما أبالي ما أصابني من الدنيا».

إنّه خير قائد ربّى هذا الجيل القرآني الفريد.

* * *

٣ـ غزوة بني قريظة:

وكانت في السنة الرابعة للهجرة في ذي القعدة؛ وبنو قريظة قوم من اليهود بالمدينة من حلفاء الأوس، وسيد الأوس حينئذ سعد بن معاذ رضي الله عنه. ولما رجع رسول الله ﷺ من الخندق

---

(١) الطبقات الكبرى: ٨/ ٤١٣.

وكان وقت الظهيرة، وقد صلّى الظهر، فدخل بيت عائشة رضي الله عنها، ودعا بماء ليغتسل، فبينما هو يغتسل، أتى جبريل عليه السلام فقال لرسول الله ﷺ: أَوَقَدْ وضَعْتَ السلاح يا رسول الله؟ قال ﷺ: نعم؛ قال جبريل عليه السلام: ما وضعَتْ ملائكة الله السلاح بعد، وإنّ الله يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة، فإنّي عامد إليهم فمزلزل بهم الحصون[1].

وأذَّن بلال في النّاس: مَنْ كان سامعاً مطيعاً فلا يصلّينَّ العصر إلا ببني قريظة، وبعث رسول الله ﷺ منادياً: يا خيل الله اركبي. ثمّ سار رسول الله ﷺ إليهم في المسلمين، وهم ثلاثة آلاف، والخيل ثلاثون فرساً، ونزل رسول الله ﷺ على بئر من آبار بني قريظة، ولاحقَ به الناس، وقذف الله في قلوب بني قريظة الرعب، وحاصرهم رسول الله ﷺ بضعاً وعشرين ليلة، نزلت بعدها بنو قريظة على حكمه ﷺ[2]، فحكَّم فيهم سعد بن معاذ الأوسي، فحكم بقتل الرجال وبسبي النساء والذرية، وأن يقسم ما لهم بين المسلمين؛ فأجاز رسول الله ﷺ ذلك وقال: لقد حكمت بحكم الله ورسوله[3].

---

(١) السيرة الحلبية: ٢/ ٣٣١ ـ ٣٣٢.

(٢) مختصر سيرة رسول الله ﷺ، لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، ص ٢٨٧.

(٣) فتوح البلدان: ص ٣٥.

وقسم رسول الله الغنائم التي استلبوها من بني قريظة؛ فجعل ثلاثة أسهم للفارس، وللراجل سهماً. وقال بعضهم: وهو أول فَيْءٍ وقعت فيه السهام[1]. وممَّنْ حضر هذه الغزوة من النساء أم عمارة رضي الله عنها، وقد أعطى رسول الله ﷺ من الغنيمة بعض النساء اللواتي شهدن غزوة بني قريظة[2]، كصفية بنت عبد المطلب[3] وأم عمارة، وأم سليط[4]، وأم العلاء[5]، والسميراء بنت قيس[6]، وأم سعد بن معاذ[7].

---

(١) السيرة الحلبية: ٢/ ٣٣٩.

(٢) المغازي: ٢/ ٥٢٢.

(٣) صفية بنت عبد المطلب، أخت حمزة بن عبد المطلب، أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ، وهاجرت إلى المدينة، توفيت في خلافة عمر رضي الله عنه، روت عن رسول الله ﷺ؛ انظر في ترجمتها: الطبقات الكبرى: ٨/ ٤١.

(٤) أم سليط النجارية، وهي أم قيس بنت عبيد، تزوجها أبو سليط بن أبي حارثة، وولدت له سليطاً وفاطمة، أسلمت أم سليط وبايعت، وشهدت خيبر وحنيناً؛ انظر: الطبقات الكبرى: ٨/ ٤١٩.

(٥) أم العلاء الأنصارية، أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ، وروت عنه، وشهدت مع رسول الله ﷺ خيبر؛ انظر: الطبقات الكبرى: ٨/ ٤٥٩.

(٦) السميراء بنت قيس، أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ، تزوجها عبد عمرو بن مسعود، الذي قُتل يوم بئر معونة شهيداً، ثم خلف على السميراء الحارث بن ثعلبة بن كعب، الذي شهد بدراً، وقُتل يوم أحد شهيداً؛ انظر: الطبقات: ٨/ ٤٣٨.

(٧) كبشة بنت رافع بن عبيد بن ثعلبة، لها صحبة، رثت ابنها سعداً=

ولم يشر المؤرخون إلى طبيعة المشاركة التي قامت بها أم عمارة، ولكنّهم أشاروا إلى أنّ بعض النساء أَصَبْنَ من الغنائم، وبعضهن لم يصبن شيئاً. وهذا دليل على أنّ أم عمارة كان لها بعض الدور الفاعل الذي جعل رسول الله ﷺ يقسم لها من الغنائم.

* * *

٤ ـ غزوة خيبر:

قدم رسول الله ﷺ المدينة من الحديبية في ذي الحجة تمام سنة ست للهجرة، فأقام بالمدينة بقية ذي الحجة والمحرم، وخرج في صفر سنة سبع للهجرة إلى خيبر؛ وأمر رسول الله ﷺ أصحابه بالتهيؤ للغزو[١]. وخرج مع رسول الله ﷺ إلى خيبر عشرون امرأة، منهم: أم سلمة زوجته ﷺ، وصفية بنت عبد المطلب، وأم عمارة نسيبة بنت كعب[٢].

= بشعر فيه صدق، وأثنى الرسول ﷺ عليها؛ انظر: الاستيعاب: ٤/ ٣٩٥.

(١) المغازي: ٢/ ٦٣٤.

(٢) المصدر السابق: ٢/ ٦٨٥.

وأخرج أبو داود من طريق حَشْرَج ابن زياد عن جدته رضي الله عنها: أنّهنّ خرجن مع النبّي ﷺ، وقد سألهن رسول الله ﷺ عن ذلك، فقلن: «خرجنا نغزل الشعر، فنعين به في سبيل الله، ونداوي الجرحى، ونناول السهام، ونسقي السويق»[1].

وما عَدَّدَتْه تلك الصحابية من مهمات تناسب طبيعة الأنثى؛ لأنّ هذا هو الأصل في طبيعة اشتراك النساء المسلمات في غزواته ﷺ، أما إذا جدَّ الجِدُّ وبرزت الحاجة إليهنَّ في دائرة تتجاوز هذه الدائرة فإنّهنّ لا يقصِّرْن في ذلك، كما مرَّ بنا في ساحة أُحد يوم أصيبت أم عمارة بجرح غائر نتيجة اشتراكها في المعركة، بل ملأت الجروح جسدها، وكيف كانت تشترك اشتراكاً مباشراً في القتال. وكيف ننسى مقولة رسول الله ﷺ: «ما التفتُّ يميناً ولا شمالاً إلا رأيتها تقاتل دوني».

وسار رسول الله ﷺ بجيشه إلى خيبر، وكان حصن الصعب بن معاذ هو حصن اليهود فيه الطعام والماشية والمتاع، يتحصن فيه خمسمئة مقاتل، وكان الناس قد أقاموا أياماً يقاتلون

---

(١) حياة الصحابة: ١/ ٥٩٤.

وليس عندهم طعام إلا العلف. قالت أم مطاع الأسلمية[1] ـ وكانت ممَنْ شهدت خيبر مع رسول الله ﷺ ـ قالت: لقد رأيتُ قبيلةَ أسلم حين شَكَوا إلى رسول الله ﷺ ما شكوا من شدّة الحال، فندب إليهم رسول الله ﷺ فنهضوا، فرأيتُ أسلم أول مَنْ انتهى إلى حصن الصعب بن معاذ، وإنّ عليه لخمسمئة مقاتل، فما غابت الشمس من ذلك اليوم حتى فتحه الله، وكان عليه قتال شديد[2].

قالت أم عمارة: «لقد وجدنا في حصن الصعب بن معاذ من الطعام ما كنت أظنّ أنّه لا يكون بخيبر، وجعل المسلمون يأكلون مُقامَهم شهراً وأكثرَ من ذلك الحصن، فيعلفون دوابَّهم، ما يُمنع أحدهم»[3].

وكان جابر بن عبد الله يقول: أطعمنا رسول الله ﷺ لحوم الخيل، فذبح قوم من المسلمين خيلاً من خيلهم قبل أن يفتح حصن الصعب بن معاذ؛ فقيل لجابر: أرأيت البغال أكنتم تأكلونها؟ قال: لا.

---

(١) أم مطاع الأسلمية: أسلمت بعد الهجرة، وشهدت خيبر مع رسول الله ﷺ؛ انظر: الطبقات الكبرى: ٨/ ٢٩٢.

(٢) المغازي: ٢/٦٥٨ ـ ٦٥٩.

(٣) المصدر السابق: ٢/ ٦٦٥.

وعن أم عمارة قالت: ذبحنا بخيبر لبني مازن بن النجار فرسين، فكنّا نأكل منها قبل أن يفتح حصن الصعب بن معاذ[1].

وعن الحارث بن عبد الله قال: رأيت في رقبة أم عمارة خرزاً حُمْراً فسألتها عن الخرز فقالت: أصاب المسلمون خرزاً في حصن الصعب بن معاذ، دفن في الأرض، فأتي به إلى رسول الله ﷺ، فأمر به بمَنْ معه من النساء فأُحصِين، فكنّا عشرين امرأة، فقسم ذلك الخرز بيننا، وقسم لنا من الفيء قطيفة وبُرْداً يمانياً ودينارين، وكذلك أَعطى صواحبي. قال الحارث بن كعب لأم عمارة: فكم كانت سُهْمان الرجال؟ قالت: ابتاع زوجي غزية بن عمرو متاعاً بأحد عشر ديناراً ونصف، فلم يطالب بشيء، فظننا أنّ هذه سُهمان الرجال ـ وكان فارساً ـ وباع ثلاثة أسهم زمن عثمان بن عفان بثلاثين ديناراً[2].

ولما انصرف رسول الله ﷺ من خيبر، وأصبح قريباً من المدينة، وانتهى إلى الجرف ليلاً، نهى رسول الله ﷺ أن يَطْرُقَ

---

(١) المغازي: ٢/ ٦٦١.

(٢) المصدر السابق: ٢/ ٦٨٨.

الرجل أهله بعد صلاة العشاء، لئلا يَرى من أهله ما يزعجه. قالت أم عمارة: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو بالجُرْف: «لا تطرقوا النساء بعد صلاة العشاء»[1].

إنّ حضور أم عمارة هذه الغزوة لَدليل آخر على اشتراك النساء في غزوات الرسول ﷺ، وأنّه كان حريصاً على مشاركتهن للجيش المسلم. ولعل سائلاً يسأل: كان معه عشرون امرأة، فماذا عسى أن تفعل تلك النساء بما معهنّ من طاقات محدودة؟ فالجواب: أنّ المسألة هنا درس للمسلمين في كل زمان ومكان، وهو القدوة والأسوة دائماً بأنّ للنساء دوراً في غزوات المسلمين وحروبهم، وأنّ هذا الفضل ينبغي أن لا يُحْرمن من الاشتراك به. وهذا دليل على جاهزية المجتمع المسلم كله في وقت النفير، بنسائه ورجاله، وليس غريباً أن تكون أم عمارة مع طليعة تلكم النسوة اللواتي شاركن في هذه الغزوة، لما عُرِف عنها من رغبة في التضحية والعطاء.

* * *

---

(١) المغازي: ٢/ ٧١٢.

٥ ـ غزوة حنين[١]: وكانت في السنة الثامنة بعد الفتح.

لما فتح رسول الله ﷺ مكة مشت أشراف هوازن بعضها إلى بعض، وثقيف بعضها إلى بعض، وحشدوا وبغوا، وقالوا: والله ما لاقى محمد قوماً يُحْسِنُون القتال، فأجمعوا أمركم فسيروا إليه قبل أن يسير إليكم... وخرج رسول الله ﷺ في اثني عشر ألفاً من المسلمين، فلمّا خرج قال رجل من أصحابه: لو لقينا بني شيبان ما بالينا، ولا يغلبنا اليوم أحد من قلة. فأنزل الله تعالى قوله: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [سورة التوبة: ٢٥].

قال أنس بن مالك: لمَّا انتهينا إلى وادي حنين، فاستقبلنا من هوزان شيء، لا والله ما رأيت مثله في ذلك الزمان قط من السواد والكثرة... فلما رأينا ذلك السواد حسبناه رجالاً كلهم، فلما تحدَّرْنا في الوادي، فبينا نحن في غَلَس الصبح ما شعرنا إلا

---

(١) حنين: اسم موضع قريب من الطائف، ويقال لها: غزوة هوازن، وغزوة أوطاس؛ السيرة الحلبية: ٣/ ١٠٥.

بالكتائب قد خرجت علينا من مضيق الوادي وشِعْبه، فحملوا حملة واحدة، فانكشف أولُ الخيل مَوَلِّية فولَّوا، وتبعهم أهل مكة، وتبعهم الناس منهزمين. قال أنس: فسمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: يا أنصار الله وأنصار رسوله، أنا عبد الله ورسوله صابر؛ قال: تقدم بحربته أمام الناس، فوالذي بعثه بالحق ما ضربنا بسيف ولا طعنًا برمح حتى هزمهم الله[1].

وتروي لنا أم عمارة طرفاً عن دورها في هذه الغزوة فتقول: لما كان يوم حنين والنّاس منهزمون في كل وجه، وأنا وأربع نسوة في يدي سيف صارم، وأم سُلَيْم قد حزمت وسطها، وهي يومئذٍ حامل بولدها عبد الله بن أبي طلحة، وأم سليط، وأم الحارث[2].

تقول أم عمارة: فجعلتُ أسُلُّ السيف وأصيح بالأنصار: أية عادة هذه؟ ما لكم وللفرار؟. قالت: وأنظر إلى رجل مشرك من هوازن على جمل، معه لواء، يريد أن يُوْضِعَ جمله في أثر المسلمين، فأعترض له فأضرب عُرْقوب[3] الجمل، وكان جملاً

---

(١) غزوة حنين: السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ٤٢٧.
(٢) لعلها: أم الحارث بن عروة، وأمها سهلة بنت امرئ القيس، أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ؛ انظر: الطبقات الكبرى: ٨/ ٣٤٢.
(٣) العرقوب: الرِّجْل.

مشرفاً[1]، فوقع على عَجُزِه، وأشُدُّ عليه، فلم أزل أضربه حتى أثبتُّه، وأخذت سيفاً له، وتركت الجمل يُخَرْخِر، يتصفَّق[2] ظَهْراً لبطن. ورسول الله ﷺ قائم مُصَلِّت السيف بيده، قد طرح غمده، ينادي: يا أصحاب سورة البقرة.

قالت: وكرَّ المسلمون فجعلوا يقولون: يا بني عبد الرحمن، يا بني عبد الله، يا خيل الله، وكان رسول الله ﷺ قد سمَّى خيلَه خيل الله، وجعل شعار المهاجرين بني عبد الرحمن، وجعل شعار الأوس بني عبيد الله، فكرَّت الأنصار؛ فوالله ما رأيت هزيمة كانت مثلها، ذهبوا في كل وجه، فرجع ابناي - حبيب وعبد الله ابنا زيد - إليّ بأسارى مُكَتَّفين، فأقوم إليهم من الغيظ فأضرب عُنُق واحد منهم، وجعل الناس يأتون بالأسارى فرأيت في بني مازن بن النجار ثلاثين أسيراً، وكان المسلمون قد بلغ أقصى هزيمتهم مكة، ثم كرُّوا بعد وتراجعوا، فأَسْهم لهم رسول الله ﷺ جميعاً[3].

---

(١) المشرف: العالي.

(٢) يتصفق: ينقلب.

(٣) المغازي: ٣/ ٩٠٢ - ٩٠٣.

مما تقدم يتضح لنا عمق ارتباط أم عمارة بأحداث الدعوة وغزواتها، وقد بدأت مشاركتها في هذه الغزوة بالسير مع قافلة الجيش المسلم، ثمّ السعي الحثيث لتحقيق أهدافه، وقد برزت هذه الأهداف في محورين:

المحور الأول: حثُّ الجند المسلم الذي أصابه الجزع من مباغتة العدو، فوقفت تُعيد إليه رباطة جأشه، وتساهم في رفع معنوياته قائلة: أية عادة هذه؟ ما لكم وللفرار؟.

المحور الثاني: الاشتراك المباشر في أحداث المعركة، فها هي تعترض الرجل المشرك من قبيلة هوازن الذي أراد إعاقة الجيش المسلم، فتضرب جمله وتجعله يهوي على أرض المعركة.

* * *

٦ ـ معركة اليمامة:

وكانت في ربيع الأول سنة اثنتي عشرة للهجرة[١].

عاشت أم عمارة طوال فترة العهد النبوي تجاهد في سبيل الله، وإلى جانبها أسرتها المؤمنة الصابرة؛ زوجها وأولادها، إلى

---

(١) الخلافة الراشدة والبطولة الخالدة في حروب الردة، ص ١٤٧.

أن لحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى، وكان لها في جهادها مع غزوات رسول الله ﷺ رصيد عظيم يكون بين يدي ربها عز وجل. بيد أن الجهاد ـ وإن كان شاقاً على النفس ـ له طعم لا يودُّ أن يفارقه مَنْ يذوقه، ولا يشعر بهذا الطعم المتخلِّفون عنه.

وقد شربت السيدة أم عمارة من كأس الجهاد، وتشرفت بخدمة الدعوة بالنفس، حتى إذا أعلن الصدِّيق رضي الله عنه عن حرب المرتدين، طلبت منه أن يكتب اسمها في عداد المشاركين. وكان قد ظهر بعض المتنبئين في آخر حياة رسول الله ﷺ كالأسود العنسي، ومسيلمة الكذّاب... وكان مَمن بعثهم رسول الله ﷺ إلى مسيلمة الكذّاب ولد أم عمارة ـ حبيب بن زيد ـ ومرّ بنا كيف استطاع مسيلمة الكذاب أن يصل إلى حبيب، وأن يقطِّعه عضواً عضواً[1].

لقد علمت أم عمارة بمقتل ولدها حبيب، وهي التي رضيت بحياة الجهاد حياة لها. وهؤلاء صحابة رسول الله ﷺ يندفعون للمضيِّ في حرب المرتدين، فصحَّ عزمُها على المشاركة، وهي التي أبلت بلاءً حسناً في غزواتها مع النبي ﷺ، فقال لها أبو بكر:

---

(١) انظر القصة في ترجمة حبيب بن زيد، في فصل أسرتها.

اخرجي على اسم الله[1].

هاهو خالد بن الوليد رضي الله عنه يقود جيش أبي بكر لحرب المرتدين، وخالد القائد المحنَّك، أدرك أن أقرب طريق إلى النصر هو قَتل مسيلمة الكذَّاب، حتى ينفضَّ رجاله من حوله[2].

فوضع خطة لذلك، واشتعل أُوَارُ المعركة، وانهزم المسلمون أول الأمر، وفرُّوا لا يَلْوون على شيء من كل جانب؛ ولكن خالداً ما لبث أن صاح فيهم: وامحمداه.. وامحمداه.

وارتفع اللواء مرة أخرى، فأقبل الصحابة من المهاجرين والأنصار على المعركة الكبيرة، وفي هذا الظرف العصيب تستلم أم عمارة سيفها المصلت، وتهجم مع كوكبة من الأنصار تضم ابنها عبد الله، واستذكرت أيام جهادها مع رسول الله ﷺ، وهاهو خالد بن الوليد يجول بفرسه، وفي يده سيفه البتَّار، يقتل منهم يمنة ويسرة، حتى صار قريباً من معقل مسيلمة الكذَّاب، وأخذ يثيره ليخرج إليه[3].

---

(١) الخلافة الراشدة والبطولة الخالدة في حروب الردّة، ص ١١٨.
(٢) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، ص ٥٣.
(٣) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، ص٥٣، ٥٤.

ولكنّ عدوّ الله أمسكه الخوف الشديد، فطلب خالد منه المبارزة، فكلّما خرج أحدُ المرتدين يبارز خالداً كان مصيره الموت، وهمّ مسليمة الكذاب أن يتقدم للمبارزة، ولكنه جَبُنَ وتقهقر، وشدّ خالد عليه برجاله الأبطال يزرعون في عدوهم الموت والدمار؛ ففرَّ مسليمة الكذَّاب قائلاً: قاتلوا عن أحسابكم، ولحقه جماعته من بني حنيفة، وتبعهم خالد بن الوليد، فكانت المعركة الكبرى، حيث استأصل شأفتهم، وقتل منهم عشرين ألفاً، واستُشهد من المسلمين ستمئة.

ويقول المؤرخون: إنَّ أم عمارة استبسلت في معركة اليمامة أيَّما استبسال، وجُرحت يومئذٍ أحد عشر جرحاً، وماذا أصابها أيضاً؟ لقد قطعت يدها رضي الله عنها[1]. أجل قُطعت يدها، وهذا يعني أنها اشتركت اشتراكاً مباشراً في المعركة الضارية، فأصابها من الجراح اثنا عشر جرحاً، ما بين ضربة وطعنة، وتُبتَر يدها، وهذا يعني أنها أرادت أن تسترجع أيام غزوة أحد، يوم قال عنها رسول الله ﷺ: «ما التفتُّ يميناً ولا شمالاً

---

(١) السيرة النبوية: ٢/ ٣١٥؛ تهذيب الكمال: ٣٥/ ٣٧٢؛ فتوح البلدان، ص ١٠٢؛ الاستيعاب: ٤/ ٤٧٦؛ سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢٨١؛ صفة الصفوة: ٢/ ٣٤؛ السيرة الحلبية: ٢/ ٢٣٠.

إلا رأيتها تقاتل دوني». ويوم قال لها: «ومَنْ يطيق ما تطيقين يا أم عمارة؟». ولا عجب أن تستبسل أم عمارة في معركة اليمامة، تدفعها عاطفة الأم المستذكرة لشهادة ابنها في ساحة حرب المرتدين من قبل، كما تشدُّها عقيدة صلبة في الإيمان بالجهاد وفضله.

تقول أم عمارة، فيما حدَّث عنها ابن ابنها عباد بن تميم بن زيد: «فلما انتهوا إلى اليمامة، واقتتلوا قتالاً شديداً، تداعت الأنصار: أخلصونا، فأُخلِصوا؛ فلما انتهينا إلى الحديقة الحصينة ـ وكانت ملكاً لمسيلمة ـ ازدحمنا على الباب، وأهل النجدة من عدونا في الحديقة قد انحازوا يُكَوِّنون فئة لمسيلمة؛ فاقتحمنا الحديقة، فضارَبْناهم ساعة، والله يا بني ما رأيت أبذلَ لمهج أنفسهم منهم، وجعلت أقصد لعدو الله مسيلمة لأن أراه، وقد عاهدتُ الله أن أُقتل دونه، وجعلت الرجال تختلط والسيوف بينهم تختلف، حتى بصُرت بعدو الله، فأشدّ عليه، ويعترض لي رجل فيضرب يدي فيقطعها؛ فوالله ما عرَّجْتُ عليها، حتى انتهيت إلى الخبيث وهو صريع، وأجد ابني عبد الله بن زيد قد قتله».

وفي رواية: «وابني يمسح سيفه بثيابه، فقلت: أقتلته؟، قال:

نعم يا أمَّه، فسجدتُ شكراً لله، وقطع الله دابرهم؛ فلما انقطعت الحرب، ورجعت إلى منزلي، جاءني خالد بن الوليد بطبيب من العرب، فداواني بالزيت المغلي، وكان والله أشدَّ عليَّ من القطع»[1].

ويسألها حفيدها ـ عبَّاد بن تميم بن زيد ـ: يا جدّة أَكَثُرَتْ الجراح في المسلمين؟ فقالت: «يا بني! لقد تحاجز الناس، وقُتِل عدو الله، وإن المسلمين لجرحى كلهم، ولقد رأيت من بني مالك بن النجار بضعة عشر رجلاً لهم أنين يكمدون جراحهم، وقد أقام الناس باليمامة خمس عشرة ليلة، وما كان يُصلّي مع خالد بن الوليد من المهاجرين والأنصار؛ إلا نفرٌ يسير من كثرة الجراح والبلاء الحسن»[2].

وعادت أم عمارة رضي الله عنها إلى بيتها بعد أن شاركت في هذه المعركة العظيمة، ونالت شرف الجهاد، وانتقمت لموت ابنها

---

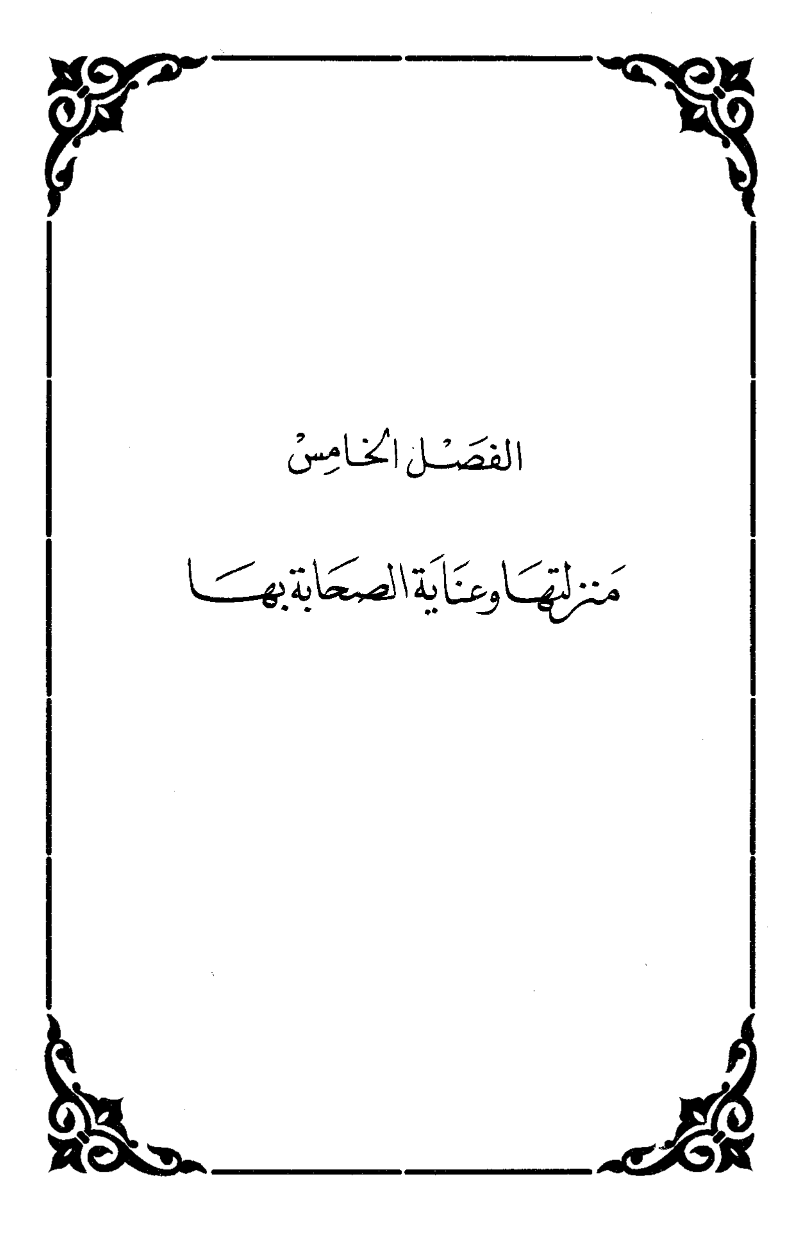
(١) المغازي: ١/ ٢٦٩؛ الخلافة الراشدة والبطولة الخالدة في حروب الردة، ص ١١٧ ـ ١١٩؛ السيرة الحلبية: ٢/ ٢٣٠؛ السيرة النبوية والآثار المحمدية: ٢/ ٣٧.
وجاء في السيرة الحلبية: ٢/ ٢٣٠، والمغازي: ١/ ٢٨٧: أنَّ وحشياً اشترك في قتل مسيلمة الكذّاب مع عبد الله بن زيد.

(٢) الخلافة الراشدة والبطولة الخالدة في حروب الردة، ص ١١٩.

ـ حبيب بن زيد ـ. بَيْدَ أنها تحمل هَمَّ بَتْرِ يدها، وإصابتها باثني عشر جرحاً.

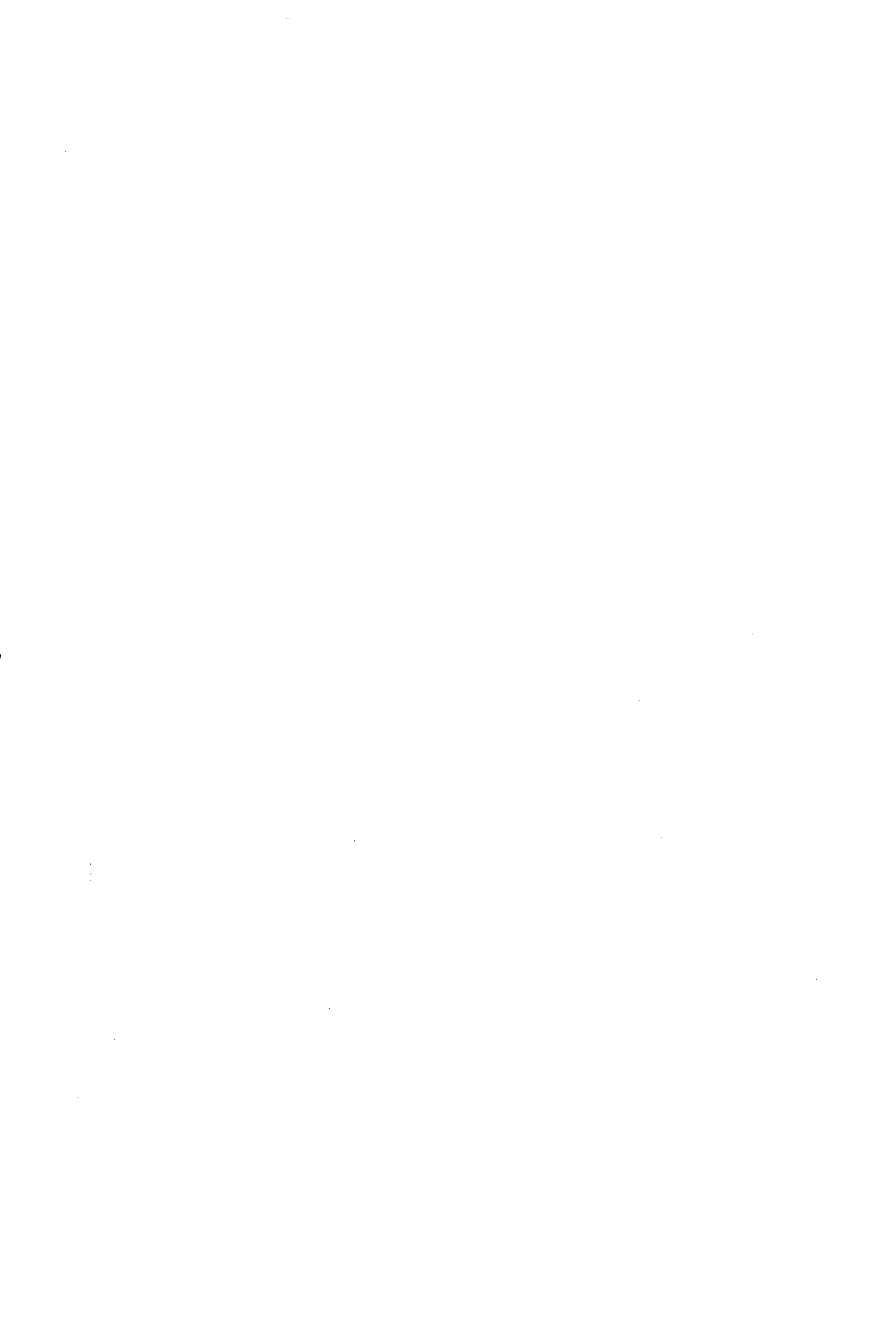
وشـاركت رضي الله عنها في القضـاء على هذا الدّعي الكذّاب، فكانت معركة اليمامة حلقة جديدة في حياتها، تضاف إلى مواقفها العظيمة في عهد رسول الله ﷺ، وكانت معركة اليمامة آخر المعارك التي حضرتها أم عمارة رضي الله عنها، وشاركت بها.





الفصل الخامس

منزلتها وعناية الصحابة بها



مَنزلتهَا وعنَايَة الصحَابة بهـَا

مرَّ بنا في الصفحات السابقة، معالم مضيئة وصلت إلينا عن سيرة السيدة أم عمارة، وكنَّا نودُّ أن يكون بين أيدينا صورة كاملة عن مراحل جهادها في فترة حياتها مع رسول الله ﷺ، وإن كنا نتوقع أنَّها لم تَألُ جهداً في سبيل خدمة الدعوة والدفاع عنها، وما وصل إلينا ينبئ عن مجاهدة متميزة وأم داعية، فليس غريباً أن تبلغ عند رسول الله ﷺ شأواً بعيداً من المنزلة والتقدير، وهو الوفيُّ بأصحابه، المتفرِّس بالناس، العارف بحقوقهم؛ وقد مرَّ بنا أقواله ﷺ في تقديرها وإعطائها منزلة عالية من مثل قوله: «مَنْ يطيق ما تطيقين يا أم عمارة؟»، وقوله ﷺ: «اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة»، وقوله أيضاً: «ما التفتُّ يميناً ولا شمالاً إلا رأيتها تقاتل دوني». ولقد دعا لها رسول الله ﷺ في معركة أحد بالبركة.

وكان ﷺ يعودها إذا مرضت، فيسأل عنها ويطمئن عليها. وتروي أم عمارة رواية تقول فيها: «دخل عليَّ رسول الله ﷺ

عائداً لي، فقربت إليه خبز شعير. قالت: فأصاب منه، وقال: «تعالي فكلي»، فقلت: يا رسول الله إنّي صائمة، فقال ﷺ: «إنَّ الصائم إذا أُكِلَ عنده لم تزل الملائكة تصلي عليه حتى يفرغ من طعامه»[1].

ومرَّ بنا في معركة أحد أنّ رسول الله ﷺ كان يحضُّ ولدها على أن يلزم أمه ويضمد جراحها التي أثخنتها[2].

ولمّا انتهت معركة اليمامة التي أَبْلَت فيها أم عمارة أحسن بلاء، قفلت عائدة إلى بيتها، وقد قُطعت يدها ويعلوها اثنا عشر جرحاً بين ضربة وطعنة، جاءها قائد جيش المسلمين خالد بن الوليد يعودها، وكلّف بعض العرب ممَّن يجيد مداواة مثل حالتها، ليتابعها بطريقة الكيّ بالزيت المغليّ، على عادة الناس وقتها؛ فكان أشدّ عليها من القطع[3].

أما أبو بكر الصديق خليفة المسلمين، فقد كان يتعهدها بحسن الصحبة ويعرف حقها ويسأل عنها[4].. كيف لا وهو

---

(١) الطبقات الكبرى: ٨/ ٤١٥.
(٢) المغازي: ١/ ٢٧٠؛ الطبقات الكبرى: ٨/ ٤١٥؛ سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢٧٨.
(٣) الخلافة الراشدة والبطولة الخالدة في حروب الردّة، ص ١١٩.
(٤) الطبقات الكبرى: ٨/ ٤١٦؛ الخلافة الراشدة والبطولة الخالدة في=

الذي يعرف قدرها عند رسول الله ﷺ!!

ثم نأتي إلى عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، ويذكر المؤرخون أنّه وصل إلى دار الخليفة أنواع من الكساء الثمين من صوف أو خزّ، فكان فيها واحد جيد وواسع، فقيل للخليفة: إنّ هذا الكساء غالٍ وثمنه كذا وكذا، فلو أرسلت به إلى زوجة عبد الله بن عمر ـ صفية بنت أبي عبيد ـ فقال لهم عمر وهو العارف بأقدار الناس، الذي تربى في مدرسة النبوة، ويعرف مَن هو الأجدر بالتقدير والعطاء، المستحق لصفوة المال، قال: أبعثُ به إلى مَنْ هو أحق به منها، أم عمارة نسيبة بنت كعب، لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم أحد: «ما التفتُّ يميناً ولا شمالاً إلا رأيتها تقاتل دوني»[1].

ولعل فيما تقدم دلالة واضحة على برّ خلفاء المسلمين برعيَّتهم، المتميزين بخدمة الدعوة، اقتداءً برسول الله ﷺ.

فذلك هو الوفاء والتقدير قبل الأجر العظيم يوم القيامة.

* * *

= حروب الردة، ص ١٢٠.

(١) الطبقات الكبرى: ٨/ ٤١٥؛ المغازي: ١/ ٢٧١؛ حياة الصحابة: ١/ ٥٩٥.



الفصل السادس

وفاتها رضي الله عنها



وفاتها رضي الله عنها

ومرت الأعوام، وأم عمارة في خدرها، تتذكر تلك الأعوام الماضية الحافلة بالجهاد والتضحيات، إلى أن عادت النفس المطمئنة إلى ربها راضية، فرقدت أم عمارة في جنة البقيع مع الصدِّيقين والشهداء والصالحين، وارتفع مقامها العلوي في الأرض إلى مقام أسمى في دار البقاء.

وكانت وفاتها نحو سنة ١٣ هـ[1].

ولم يشر إلى هذه السنة غير «الزركلي» في ترجمته لها، ولم أجد نصاً صريحاً في تحديد سنة وفاتها رضي الله عنها عند غيره، كما أنني لم أجد نصاً بتاريخ ميلادها أيضاً، رضي الله عنها وأرضاها.

وكانت جدَّة ضمرة بن سعيد ممَن شهدت أحداً، وقد حضرت وفاة أم عمارة، وكانت فيمن غَسَّلْنها، فعدَّتْ جراحها جرحاً جرحاً،

---

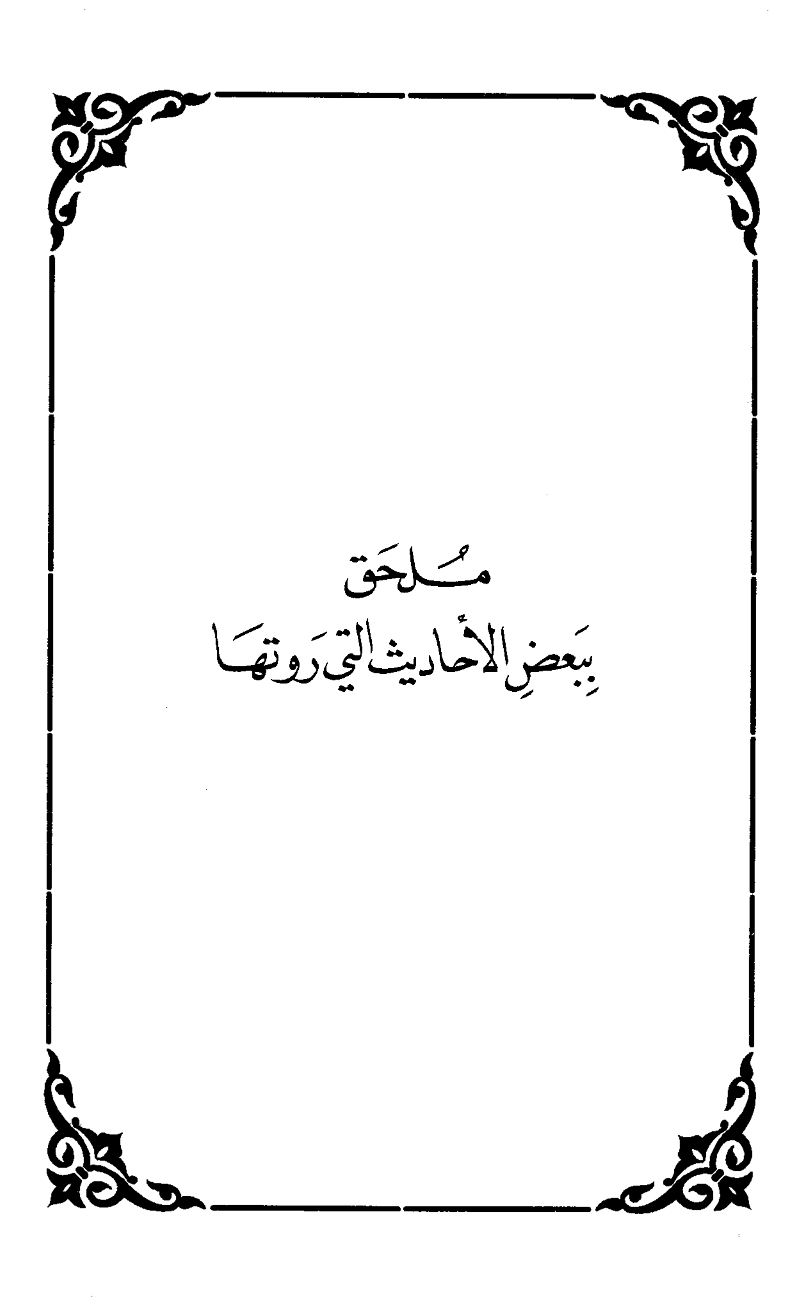
(١) الأعلام: ٨/١٩.

فوجدتها ثلاثة عشر جرحاً، وكان أعظمها الجرح الذي أحدثه ابن قميئة على كتفها[1] .

إنَّ بقاء هذه الجروح إلى زمن وفاتها؛ ليدلُّ دلالة واضحة على الندوب العميقة في هذا الجسد الطاهر، فهي ليست بالجروح الخفيفة التي تُسمَّى سطحية، وإنما هي ذات نفاذٍ كبير إلى طبقات الجلد، فرحمة الله عليها مجاهدة لا تعبأ بما يصيبها، وتصبر على بُرئها. فلا ندري كم مضى عليها من الوقت والآلام حتى شفيت منها؟ رضي الله عنها.

* * *

(١) المغازي: ١/ ٢٧٠.



مُلحَق
بِبَعضِ الأحاديث التي رَوتها



روت أم عمارة عن النبي ﷺ أحاديث في مختلف العبادات والتوجيهات النبوية[1]. وروى عنها عباد بن تميم[2]، ومولاتها ليلى[3]، وعكرمة[4]، وأم سعد بنت سعد[5]، وكريب[6]، مولى ابن عباس، وحديثها في السنن الأربعة[7].

---

(١) تهذيب الكمال: ٣٥/ ٣٧٢، الإصابة: ٤/ ٤٧٩.

(٢) عباد بن تميم بن غزية الأنصاري المازني، روى عن أبيه تميم وله صحبة وروى عن أبي سعيد الخدري، وروى عنه أيوب بن عبد الرحمن، روى له الجماعة، ولم تذكر وفاته؛ انظر تهذيب الكمال: ٣٥/ ٣٠٢.

(٣) روت عن أم عمارة، وروى عنها حبيب بن زيد، وروى لها الترمذي والنسائي وابن ماجه؛ انظر تهذيب الكمال: ٣٥/ ٤٠٢.

(٤) عكرمة بن عبد الله: العلاّمة الحافظ المفسّر، أبو عبد الله القرشي، حدّث عن ابن عباس وعائشة وأبي هريرة وابن عمر وعلي بن أبي طالب وأم عمارة الأنصارية، سمع من عائشة وأبي هريرة وأبي قتادة وابن عمر، وعبد الله بن عمرو؛ انظر سير أعلام النبلاء: ٥/ ١٢ ـ ١٣.

(٥) جميلة بنت سعد بن الربيع الأنصارية الفقيهة، انظر: سعد بن الربيع من سلسلة أعلام المسلمين، ص ٦٨.

(٦) كريب بن أبي مسلم، الإمام الحجة، حدّث عن مولاه ابن عباس، وأم الفضل أمّه، وأختها ميمونة، وأسامة بن زيد، وأم سلمة... وطائفة؛ قال ابن سعد: كان ثقة، روى عنه أبو سلمة بن عبد الرحمن ومكحول وغيرهم؛ انظر: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٢٨٠.

(٧) الإصابة: ٤/ ٤١٨؛ تهذيب الكمال: ٣٥/ ٣٧٢؛ تهذيب التهذيب: ١٢/ ٤٧٤.

- أتت أم عمارة رسول الله ﷺ فقالت: «ماأرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى النساء يُذْكَرْنَ؛ فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾»[1] [الآية ٣٥ من سورة الأحزاب].

- عن أم عمارة: أنّ النبي ﷺ دخل عليها، فقربت إليه طعاماً، قال: ادني فكلي»، قالت: إني صائمة، قال النبي ﷺ: «الصائم إذا أُكِل عنده صلّت عليه الملائكة»[2].

- وعن أم عمارة: أنّ النبي ﷺ توضأ فأتي بإناء فيه قدر ثلثي المد[3].

- وعن أم عمارة بنت كعب قالت: أنا أنظر إلى

---

(١) رواه الترمذي: ٥/ ٣٣٠.

(٢) مسند الإمام أحمد: ٦/ ٣٦٥.

(٣) أبو داود، كتاب الطهارة ٤٤، ١/ ٧٢.

رسول الله ﷺ وهو ينحر بدنه قياماً بالحربة[1].

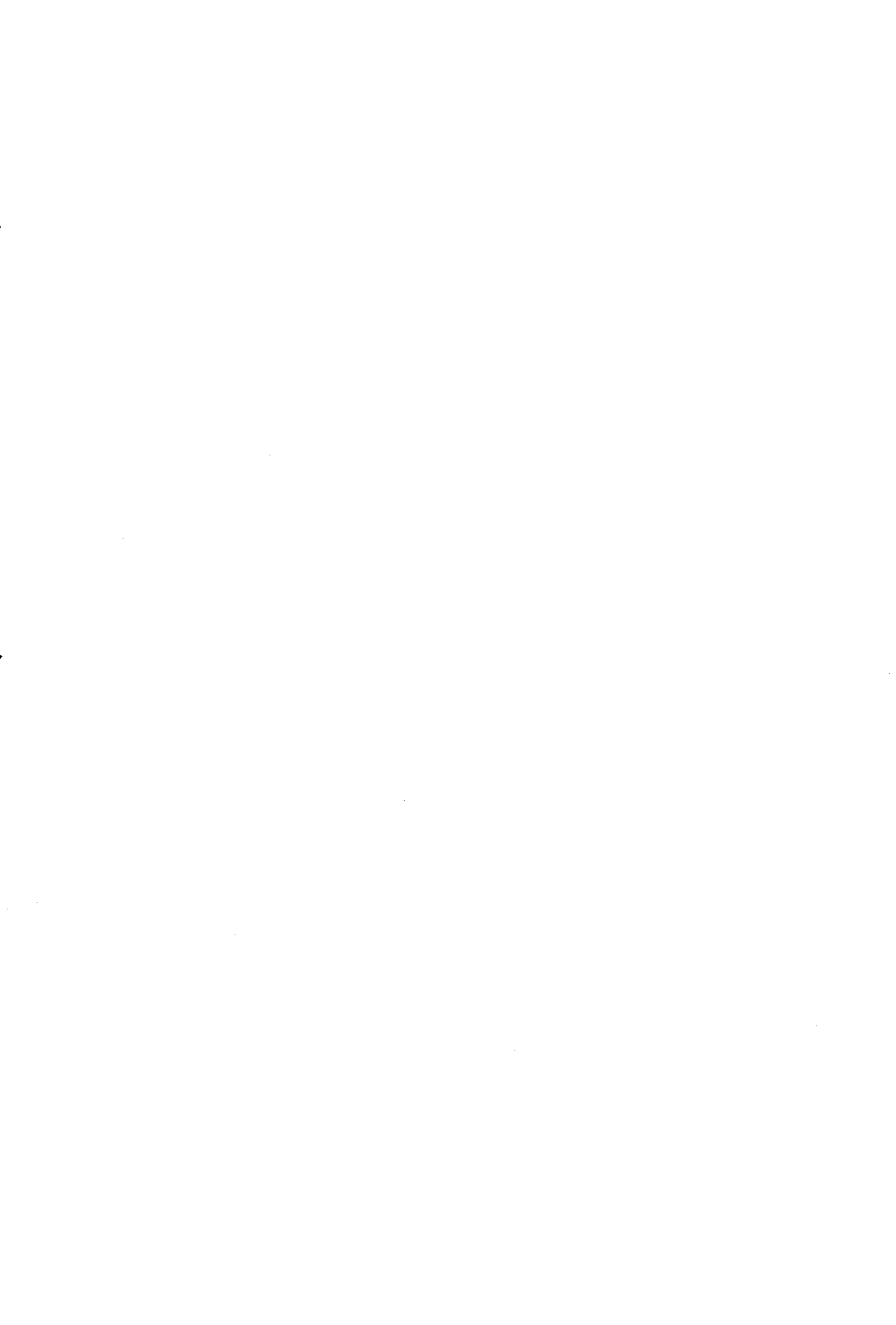
ـ وعن أم عمارة قالت: كانت الرجال تصفق على يدي رسول الله ﷺ ليلة العقبة، والعباس آخذ بيد رسول الله ﷺ، فلما بقيت أنا وأم منيع، نادى زوجي غزيةُ بن عمرو: يا رسول الله هاتان امرأتان حضرتا معنا تبايعنك، فقال رسول الله ﷺ: «قد بايعتهما على مابايعتكم عليه، إني لا أصافح النساء»[2].

* * *

---

(١) الإصابة: ٤/ ٤٧٩.

(٢) المصدر السابق نفسه.



الخاتمة

أيتها المجاهدة الصابرة .

يا مَن اتَّـخذت الحياة الدنيا مطية إلى الآخرة .

يا مَن لم تَلقَ منك الدنيا التفاتة إليها .

يا مَن بعتِ دنياك من أجل آخرتك .

يا مَن ضحيت في سبيل الله من أجل إعلاء كلمته .

إليك أيتها السيدة الطيبة . . إليك أيتها المجاهدة الباسلة . .

إليك أرفع أسمى آيات التقدير والإعجاب .

يا مَن أعطيت النساء درساً لا يُنسى في الجهاد والدفاع عن دين الله ورسوله، يامَن اتخذت من ساحات الوغى مطية إلى صحبة رسول الله ﷺ في الجنة .

إليـك أيتهـا المجـاهـدة الـوفيـة، إليـك أزفّ بشـرى رسول الله ﷺ: «اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة» .

فهنيئاً لك بشرى رسول الله ﷺ: وهنيئاً لك المقام في الجنة.

لقد جاء بحثي في ستة فصول، تحدثت في الفصل الأول عن اسمها ونسبها وقبيلتها؛ فقد اشتهرت رضي الله عنها بكنيتها (أم عمارة).

وأشرت في الفصل الثاني إلى أسرتها التي تضمنت أبويها وأخوتها، وزوجيها، وأولادها رضي الله عنهم.

وجاء الحديث في الفصل الثالث عن إسلامها، ومبايعتها لرسول الله ﷺ، ومشاركتها لأحداث عصرها؛ فكانت رضي الله عنها كما بيّنا من السابقات إلى الإسلام، وبايعت رسول الله ﷺ وصَدَقَت البيعة. رضي الله عنها.

وخصَّصت الفصل الرابع للحديث عن جهادها وغزواتها التي غزتها مع رسول الله ﷺ ومع صحابته رضي الله عنهم من بعده؛ فكانت أُولاهن غزوة أُحد، حيث خرجت مع رسول الله ﷺ أول النهار لتسقي العطشى وتداوي الجرحى، وما إن حميَ وطيسُ المعركة حتى ألقت سقاءها جانباً، واستلّت سيفها، وراحت تتلقى النبال عن رسول الله ﷺ وتدافع عنه، حتى قال رسول الله ﷺ مقولته المشهورة: «ما التفتُّ يميناً ولا شمالاً

إلا رأيتها تقاتل دوني». لم تبالِ بجراحها، ولم تعبأ بدمائها الجارية، بل كان همها إعلاء كلمة الله ونصرة دينه والدفاع عن رسول الله ﷺ.

ثم جاء الحديث عن غزوة حمراء الأسد حين أراد رسول الله ﷺ اللحاق بقريش لإعطائهم درساً لا ينسى في قوة المسلمين وثباتهم على الحق، وقد أرادت أم عمارة الخروج معه ﷺ لتنال شرف صحبته، ولكن نَزف جرحها الغائر الذي أحدثه ابن قميئة في عاتقها منعها من ذلك الخروج المبارك.

وكان لها رضي الله عنها شرف المشاركة في غزوة بني قريظة، وقد قسم لها رسول الله ﷺ من الغنيمة التي حصلوا عليها في هذه المعركة.

كما سَهَّل الله عليها مشاركة رسوله ﷺ والمؤمنين في غزوة خيبر، ولها أحاديث ترويها بالتفصيل عن هذه الغزوة.

كما اشتركت رضي الله عنها مع رسول الله ﷺ في غزوة حنين، وأبدت فيها بسالة رائعة تفوق بسالة بعض الرجال؛ ولها أقوال وأحاديث عن تلك الغزوة رضي الله عنها.

وختمتُ هذا الفصل بذكر معركة اليمامة، حيث أراد الله سبحانه أن يكرمها ويثلج صدرها المثلوم بفقد ولدها ـ حبيب ـ

ويريها بأم عينها مقتل ذلك اللعين ـ مسيلمة الكذاب ـ الذي قام بتقطيع ولدها وحرقه. فاشتركت رضي الله عنها في هذه المعركة الضارية، ورأت بعينها مقتل ذلك المجرم المدّعي للنبوة، وعادت من هذه المعركة قريرة العين طيبة النفس، ولم تعرِّج على يدها التي قطعت هناك، بل احتسبتها عند الله تعالى.

وجاء الحديث في الفصل الخامس عن منزلتها وعناية رسول الله ﷺ والصحابة من بعده بها رضي الله عنها، وما أولوها من رعاية وإكرام.

وأخيراً جاء الحديث في الفصل السادس عن وفاتها رضي الله عنها وأرضاها، وأسكنها فسيح جناته.

نسأله تعالى أن يجعل سيرتها العطرة نبراساً يضيء لنا درب الحياة.

* * *

المصادر

- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير - بيروت، دار إحياء التراث، مصورة عن طبعة طهران ١٣٧٧هـ.

- أعلام النساء، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

- الإصابة لابن حجر، الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ، مطبعة السعادة.

- الأعلام، للزركلي - بيروت، لبنان، ١٩٨٤هـ، دار العلم للملايين.

- الإكمال، للأمير الحافظ ابن ماكولا، تحقيق: نايف العباس - بيروت.

- الأنساب للسمعاني، الثانية، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م - بيروت.

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، على حاشية كتاب الإصابة، مطبعة السعادة ١٣٢٨هـ.

- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، حيدرآباد، الهند ١٣٢٥هـ. الطبعة الأولى، مصورة.

- تاريخ المدينة المنورة لابن شبة، تحقيق: فهيم شلوت، ١٣٩٣هـ ـ جدة.

- تهذيب الكمال للمزي، دار الرسالة، تحقيق: الدكتور بشار معروف ـ بيروت.

- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، لابن حجر العسقلاتي، تحقيق: علي البخاري، ومحمد النجار ـ مصر.

- تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، لابن الجوزي ـ القاهرة، مكتبة الآداب.

- تقريب التهذيب، لابن حجر، تحقيق: الشيخ محمد عوامة، دار الرشيد ـ سورية، حلب، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

- الثقات، للإمام الحافظ: محمد بن حبان، الطبعة الأولى، حيدرآباد ـ الهند.

- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، كتاب الشعب ـ مصر، بلا تاريخ.

ـ جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، للدكتور محمد السيد الوكيل، دار المجتمع ـ جدة، ١٤٠٦هـ.

ـ حروب الردة، أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي، تحقيق أحمد غنيم ـ مصر، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

ـ حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصفهاني ـ بيروت، دار الكتاب العربي، طبعة مصورة.

ـ حياة الصحابة، للكاندهلوي، تحقيق: الشيخ نايف العباس، ومحمد علي دولة، دار القلم ـ دمشق، الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

ـ الخلافة الراشدة والبطولة الخالدة في حروب الردة (انظر: حروب الردة).

ـ الرحيق المختوم للمباركفوري، الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م ـ بيروت.

ـ زاد المعاد، لابن القيم، راجعه: طه عبد الرؤوف طه، مطبعة الحلبي ـ مصر ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

ـ سبل الهدى والرشاد، للصالحي.

ـ أم سلمة، أمينة عمر الخراط، دار القلم ـ دمشق ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، سلسلة أعلام المسلمين.

- أم سُلَيم بنت ملحان، أمينة عمر الخراط، دار القلم - دمشق ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، سلسلة أعلام المسلمين.

- سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م - بيروت.

- سنن الترمذي - بيروت، دار الكتب العلمية، تحقيق: كمال يوسف الحوت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

- السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا ورفاقه ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.

- السيرة الحلبية، علي بن برهان الحلبي الشافعي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، لبنان، طبعة مصورة.

- السيرة النبوية والآثار المحمّدية، أحمد زيني دحلان، على هامش السيرة الحلبية، دار إحياء التراث العربي - بيروت، لبنان.

- شهداء الإسلام في عهد النبوة، د. علي سامي النشار، مكتبة أسامة بن زيد - بيروت.

- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الدمشقي، تحقيق: د. عبد الله التركي وشعيب الأرناؤوط - بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

ـ صحيح مسلم، للإمام مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة مصورة، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

ـ صفة الصفوة، لابن الجوزي، الطبعة الثانية، حيدرآباد ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

ـ صحابة رسول الله في الكتاب والسنة، عيادة الكبيسي، دار القلم ـ دمشق ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

ـ الطبقات الكبرى لابن سعد ـ بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

ـ طبقات ابن خياط، لأبي عمرو خليفة بن خياط، تحقيق: الدكتور أكرم العمري ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

ـ عون المعبود، دار الفكر ـ بيروت، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٩م.

ـ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ابن سيد الناس، دار الآفاق الجديدة ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٧م.

ـ فتوح البلدان، الإمام أبي الحسن البلاذري، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

ـ فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، نشر محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م ـ مصر، الطبعة الأولى.

- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للعلاء الهندي، حيدرآباد - الهند، بلا تاريخ.

- الكاشف للإمام الذهبي، تحقيق: الشيخ محمد عوامة، والشيخ أحمد نمر الخطيب - جدة ١٤١٣هـ.

- لسان العرب لابن منظور، دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

- مسند الإمام أحمد، المكتب الإسلامي - بيروت، طبعة مصورة.

- مئة أوائل من النساء، سليمان سليم البواب، دار الحكمة للطباعة والنشر - دمشق ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

- المغازي للواقدي، تحقيق: مارسدن جونس، عالم الكتب - بيروت.

- مواقف من السيرة النبوية، مصطفى حسين عطار - مكة المكرمة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

- مختصر سيرة رسول الله ﷺ، لشيخ الإسلام: محمد بن عبد الوهاب - الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، بلا تاريخ.

* * *

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

* * *